وقفـــات مـــع

قيـام رمضـان والاعتكـاف

الدكتور / عبد الرحمـــن الـبر
أستاذ الحديث وعلومه ~~المساعد~~ بجامعة الأزهر

حقوق الطبع محفـــوظة
للمؤلـف

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

رقم الإيداع : ١٦٦٤٤ / ٢٠٠٣
I.S.B.N. : 977 - 338 - 086 - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهداه.

اللهم اجعل عملنا كله صالحاً خالصاً متقبَّلاً، ولا تجعل للشيطان في عملنا حظا ولا نصيباً، ووفقنا لما تحب وترضى، وارزقنا خير الآخرة والأولى، إنك على كل شيء قدير.

وبعـــد؛ فهذه قبسات من مشكاة النبوة في شهر رمضان المبارك، أعددتُها تذكرةً لنفسي ولإخواني الصائمين؛ لنضع أنفسنا في دائرة هذه الأنوار المباركة والنفحات الكريمة.

وغير خاف أن العبادات في الإسلام ليست مجرد أداء لحركات وشكليات فارغة من المضمون، ولكنها شُرعت لأغراضٍ تربوية سامية وأهداف نبيلة عالية، **فالصلاة** تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ، وتربِط العبد بربه، وتغسل أدرانه وخطاياه ساعة بعد ساعة، **والزكاة** تطهر الأموال، وتزكي النفوس، وتحقق تكافل الأمة، **والحج** يعلّم المسلم كيف يجرد اعتقاده، ويحقق معنى

التسليم المطلق لربه.

أما **الصيام** فله كذلك أهداف تربوية في غاية الأهمية، وحسبنا أن يقول الحق جل وعلا في شأنه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ فالصيام وسيلة لتحقيق التقوى التي هي شعار أهل الإيمان، إذ يسمو بالنفس فوق شهواتها السافلة، ويحلق بها في آفاق السمو الروحي بعيداً عن الإخلاد إلى الأرض .

فإذا ما أقبل المساء، وأرخى الليل سُدُوله أقبل الصائمُ على قيام الليل في رمضان، ذلك العمل الكريم الذي يدنو فيه العبد من ربه ويقترب من مولاه، ويأنس فيه بمناجاته .

حتى إذا دخلت العشر الأواخر من الشهر ارتفعت حرارة الإيمان في القلوب، وأقبل المؤمنون على ربهم يلتمسون بركة ليلة القدر وعظيم أجرها الذي لا حدَّ له .

من هذا المنطلق فكرت في كتابة هذه الوقفات مع قيام رمضان والاعتكاف في العشر الأواخر؛ لأستجلي لنفسي ولمن أحب بعض تلك الأهداف التربوية الكريمة، وذلك من خلال

حديثين نبويين كريمين، روتهما الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها .

وقد قدمت بين يدي هذه الوقفات حديثا موجزا عن الاستعداد لاستقبال رمضان، وما ينبغي أن يعده المسلم من برامج لنفسه ولأسرته، وهو يدخل إلى هذه المدرسة التربوية الكريمة في هذا الشهر المبارك .

فأما الحديث الأول فهو في قيام رمضان، توقفت فيه مع حكم قيام الليل وفضيلته وأهميته للمؤمن وأثره على القائمين به والمداومين عليه، وذلك في **الوقفة الأولى**.

أما **الوقفة الثانية** فكانت مع مشروعية قيام رمضان في جماعة، وفضيلة ذلك على قيامه منفردا.

وفي **الوقفة الثالثة** تعرضت لبيان عدد ركعات القيام سواء في رمضان أو في غير رمضان.

وتناولت في **الوقفة الرابعة** مقدار القراءة في صلاة التراويح وما ينبغي من الاجتهاد في تطويل الصلاة وتحسينها.

ثم عشت مع القرآن في شهر القرآن في **الوقفة الخامسة** لأتبين ولأبين كيف كان القرآن في حياة رسول الله ﷺ وأصحابه ومتبعيه، وواجبنا في اتباعهم والاستكثار من الخير الذي استكثروا منه.

ومن ثم توقفت مع كيفية قراءة القرآن القراءة التي تحقق المعاني التربوية المقصودة منها، وكيفية التعامل مع هذا الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيفية تحويل معانيه الكريمة إلى واقع عملي يرقى بالنفوس ويصلح القلوب.

وفي **الوقفة السادسة** بينت أهم سنن وآداب قيام الليل، التي تحقق مقصود القيام وروحه وأغراضه التي شرع من أجلها

ثم ختمت الوقفات مع هذا الحديث الكريم **بالوقفة السابعة** في الأسباب المعينة على قيام الليل.

أما الحديث الثاني **فهو في الاعتكاف وإحياء ليالي العشر**

الأواخر عموما، والتماس ليلة القدر خصوصا، توقفت فيه مع فضيلة وحكمة وأهم أحكام الاعتكاف للرجال والنساء، وكيف يحقق الاعتكاف مقصوده الذي شرع لأجله. وذلك في **الوقفة الأولى** .

ثم بينت في **الوقفة الثانية** فضيلة العشر الأواخر، والتماس ليلة القدر فيها، سائلا الله العظيم أن يرزقنا التوفيق لقيامها على الوجه الذي يرضيه.

هذا وإني لأسأل الله القبول والتوفيق والعفو عن الزلات، هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

عبد الرحمن البر

كيف نستقبل شهر رمضان

شهر رمضان ضيفٌ كريمٌ عزيزٌ يحل على المؤمنين مرةً في كل عام، حاملاً معه بشائر الخير، ونسائم الرحمة، حيث تتضاعف الحسنات، وتُفتَّح أبواب الجنان، وتُغلَّق أبواب النيران، وتُصَفَّد الشياطين، ولذلك فمن ضيَّع الخير فيه فقد ضيَّع كثيراً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة**» (١).

وفي رواية: أن النبي ﷺ رقي المنبر فقال: « **آمين، آمين آمين** » قيل له: يا رسول الله، ما كنت تصنع هذا ؟ فقال: «**قال لي جبريل: رغم أنف عبد أدرك أبويه أو أحدهما لم يدخله الجنة. قلت: آمين. ثم قال: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان لم يُغْفَرْ له. فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف امرئ**

---

(١) أخرجه الترمذي – وقال: حسن غريب – في كتاب: الدعوات، باب: قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل (٣٥٤٥)، وصححه ابن حبان (٩٠٨).

ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك. فقلت: آمين » [1].

ولهذا ينبغي للعاقل اغتنام فرصة دخول هذا الشهر الكريم الذي كان النبي ﷺ يدعو ببلوغه إذا أهل شهر رجب؛ ليتزود خير الزاد، وفي هذه الوقفة أُذكّر نفسي وإخواني ببعض ما يجب علينا ونحن نستقبل هذا الشهر المبارك:

١ – التوبة النصوح: فقد قال تعالى**﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾** (النور:٣١) وقال عز من قائل: **﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾** (التحريم:٨). ولئن كانت التوبة واجبة في كل وقت فإنها في الأوقات الفاضلة أشد وجوباً، فكيف إذا كان ذلك في استقبال شهر القرآن والرحمة والبركة ؟.

وإني لأنصح لنفسي ولإخواني أن نعتبر شهر رمضان فرصةً للتوبة والإقلاع عن بعض ما نعلم من سيئات أنفسنا وشرور أعمالنا. إنها فرصة ونحن نستقبل رمضان أن يعزم المدخن على الإقلاع عن التدخين، ويعزم مدمن المسلسلات

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: من ذكر عنده النبي ﷺ فلم يصل عليه (٦٤٦)، وصححه ابن خزيمة (١٨٨٨)، وابن حبان (٩٠٧) .

والأفلام عن الإقلاع عن هذه العادة، ويعزم آكل الربا والرشوة على ترك هذه المحرمات، ويعزم سليط اللسان على التعود على قول التي هي أحسن، ويعزم المتهاجرون والمتخاصمون على ترك القطيعة والعودة إلى الحب والتصافي.

٢ – **الإخلاص:** فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه** » [(١)].

و لم لا والله تعالى يقول في الحديث القدسي المتفق عليه: « **الصيام لي وأنا أجزي به** » ؟ و لم لا والصائم إنما يترك طعامه وشرابه وشهوته لله وابتغاء مرضاته ؟

٣ – **صيام ما أمكن من شهر شعبان:** فقد كان النبي ﷺ يصوم شهر شعبان إلا قليلا، فعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصله برمضان [(٢)]. وفي رواية الترمذي والنسائي: ما رأيتُ

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان (٣٨)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في قيام رمضان (١٧٥/٧٦٠)

(٢) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصوم، باب: فيمن يصل شعبان برمضان

النبي ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان[1].

ومعنى قولها شهراً تاماً: أي معظم الشهر، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيتُه أكثر صياماً منه في شعبان. وفي رواية: لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان وكان يصوم شعبان كله. وفي رواية: كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا[2].

٤ – اعتزام قيام شهر رمضان: فذلك من أفضل الأعمال في هذا الشهر الكريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » [3]. فينبغي أن يرتب الإنسان نفسه وظروفه في هذا

(٢٣٣٦) -وإسناده صحيح.

(١) **الترمذي** في كتاب: الصوم، باب: ما جاء في وصال شعبان برمضان (٧٣٦) **والنسائي** في كتاب: الصيام، باب: صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي ٤/ ٢٠٠ .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الصوم، باب: صوم شعبان (١٩٦٩-١٩٧٠)، **ومسلم** في كتاب:الصيام ،باب: صيام النبي ﷺ في غير رمضان(١١٥٦/ ١٧٥- ١٧٦)

(٣) أخرجه **البخاري** في كتاب: الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان (٣٧) **ومسلم** في الموضع السابق (٧٦٠/ ١٧٤) .

الشهر الكريم على المحافظة على القيام. وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

٥ - **الحرص على التصدق في هذا الشهر الكريم:** وربما تعمد بعض أهل الخير أن يقدموا زكاة أموالهم في هذا الشهر إضافة على صدقاتهم الكثيرة الأخرى؛ التماساً لبركة الشهر وتعظيما للأجر، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: سُئل النبيُّ ﷺ: أي الصوم أفضل بعد رمضان ؟ فقال: « **شعبان لتعظيم رمضان** » قيل: فأي الصدقة أفضل ؟ قال: « **صدقة في رمضان** » (١).

٦ - **إطعام الطعام وتفطير الصائمين في رمضان:** فعن زيد بن خالد الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ فطَّر صائماً كان له مثلُ أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا** » (٢).

---

(١) أخرجه **الترمذي** - وقال: غريب وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي - في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة (٦٦٣) .

(٢) أخرجه **الترمذي** - وقال: حسن صحيح - في كتاب: الصيام، باب: ما جاء في فضل من فطر صائما (٨٠٧)، **وصححه ابن خزيمة** (٢٠٦٤)، **وابن حبان** (٣٤٢٩) .

وإن مما ينبغي أن تحرص عليه أيها الأخ الصالح في هذا الشهر دعوة أهلك وإخوانك وأقاربك وذوي رحمك على مائدة إفطارك، وأن تحضر موائد إفطارهم، حتى تزداد الروابط توثيقاً والعلاقات قوة، لكن من المهم التنبيه على عدم التكلف الزائد الذي يخرج الأمر عن كونه عبادة وقربة إلى كونه تجملا وتفاخرا ومجاملة، وربما أدى إلى الإضرار والإيذاء وخير الأمور أوساطها، ولا خير في السرَف .

٧ – العزم على ختم القرآن الكريم في رمضان أكثر من مرة: فذلك هو الشهر الذي تميز بنزول القرآن فيه، وقد كان السلف يتركون حتى تدريس الحديث والعلوم المختلفة ليتفرغوا لقراءة القرآن في هذا الشهر، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

٨ – الحرص على أذكار الصباح والمساء: فهذا الشهر فرصة كريمة للتعود على ذكر الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن الخير الذي ينبغي التدرب عليه في هذا الشهر: المكث في موضع صلاة الفجر واستغلال الوقت بعدها في الذكر والدعاء حتى تطلع الشمس فيصلي الإنسان الضحى، ثم ينصرف لأمره، ففي هذا خير كثير، فعن أنس ابن مالك

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من صلى الغَداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانتْ له كأجر حجة وعمرة** » قال: قال رسول الله ﷺ: « **تامة تامة تامة** »(1).

وقد روى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقعد في مصلاه حتى تطلع الشمس. ولئن كان هذا الفضل لمن يقعد في مصلاه يذكر الله في أي يوم فإنه في أيام رمضان أفضل وأعظم أجرا. وإنها لفرصة ذهبية أن يتعود الإنسان في هذا الشهر الكريم على هذا العمل العظيم.

٩ – الاستعداد للعمرة في رمضان للقادر على ذلك:

فإن العمرة في رمضان أعظم أجرة من العمرة في غير رمضان، بل إنها تعدل في أجرها حجة مع النبي ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار: « **ما منعك أن تحجي معنا ؟** » قالت: كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه –

(١) أخرجه **الترمذي** – وقال: حسن غريب – في كتاب: الصلاة، باب: ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس (٥٨٦).

لزوجها وابنها – وترك ناضحا ننضح عليه. قال: « **فإذا كان رمضان اعتمري فيه، فإن عمرة في رمضان حجة** » وفي رواية: « **فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي** »[1].

على أن علماء العصر قد اختلفوا أيهما أفضل: العمرة المتكررة في رمضان أو غيره، أو إنفاق تكلفة العمرة على المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وغيرها .

١٠ – الاستعداد لاعتكاف العشر الأواخر من رمضان: فإذا أمكن للإنسان إعداد نفسه لذلك فلا ينبغي أن يفوت على نفسه هذا الخير، وإن تعجبْ فعجبٌ أن الموظف يدخر أيام أجازته ليسافر إلى المصايف ونحوها من المباحات أو من المحرمات، ثم لا تطاوعه نفسه على فعل ذلك للاعتكاف.

١١ – التعرف على أحكام الصيام وآدابه: وذلك حتى يصحح الإنسان صومه وصوم من يليهم من أهله، فإن الجاهل بالصيام وأحكامه ونواقضه وآدابه ربما أساء لنفسه بأن أجهدها

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: العمرة، باب: عمرة في رمضان (١٧٨٢)، وفي كتاب: جزاء الصيد، باب: حج النساء (١٨٦٣)، **ومسلم** في كتاب: الحج، باب: فضل العمرة في رمضان (١٢٥٦/٢٢١-٢٢٢) .

وأعطشها من غير فائدة، حيث يأتي من المحرمات والمفطرات ونواقض الصيام ما يجعل حظه من صيامه الجوع والعطش، بغير أجر ولا فائدة.

١٢ - وأخيراً: الاهتمام بالأسرة في رمضان: فإن شياطين الإنس والجن يستعدون لهذا الشهر الكريم بكثير من المغريات التي تشغل عن الصيام وتفقده أثره التربوي والروحي فيعدون من أصناف الأطعمة، ومن البرامج والأفلام والمسلسلات للصغار والكبار ما يشغل الصائم عن قراءة القرآن وذكر الله وأداء العبادات، ومن هنا كان على الراعي في بيته مسئولية كبيرة في إعداد برنامج رمضاني للأسرة كلها، يحقق أهداف الصيام وأغراض العبادة، كأن تتفق الأسرة على حفظ مقدار معين من القرآن، ولا مانع من عمل مسابقة أسرية في هذا الأمر، وكذلك تتفق على الخروج معا لصلاة القيام وسماع المواعظ في أحد المساجد، واصطحاب الأسرة لأداء الواجبات الاجتماعية من صلة الأرحام وزيارة الإخوان وعيادة المرضى، ونحو ذلك من الواجبات، وكذلك تتفق على أن يقوم كل فرد منها بتحديد عيب معين أو خُلُق رديء أو سلوك غير مناسب اعتاد فعله ويجعل شهر رمضان فرصة

للإقلاع عنه، وكذلك القيام بقراءة أذكار الصباح والمساء مع الأسرة بصورة جماعية في بعض الأيام لتعليمهم وتعويدهم .

ومن المناسب كذلك: أن تضع الأسرة ورقة محاسبة لكل فرد، يدون فيها أعمال اليوم والليلة التي يجب أن يقوم بها وما أداه منها، وما قصر فيه؛ ليتنافس الجميع في الخير.

وما أجمل أن تتفق الأسرة فيما بينها على مقاطعة كافة البرامج التلفازية غير اللائقة بالشهر الكريم، وأن تكتفي بمشاهدة النافع مما يعرضه هذا الجهاز الخطير .

على أنه ينبغي أن لا تشغل الأسرة عن متابعة التحصيل العلمي في هذا الشهر المبارك، مع ربط هذا العمل بالإيمان، بحيث يرتبط التفوق في العلم بالتفوق الخلقي والسمو الروحي.

والله أعلم.

وقفــات مـع
قيــام رمضـــــان

حديث قيام رمضان :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبيﷺ قالت: كان الناس يصلون في مسجد رسول الله ﷺ في رمضان بالليل أَوْزاعاً، يكونُ مع الرجلِ الشيءُ من القرآن، فيكونُ معه النفرُ الخمسة أو الستة أو أقلُّ من ذلك أو أكثرُ، يُصَلُّون بصلاته.

قالت: فأمرني رسولُ الله ﷺ ليلةً من ذلك أن أَنْصبَ له حصيراً على باب حجرتي، ففعلتُ، فخرج إليه رسولُ الله ﷺ بعد أن صلى العشاءَ الآخرةَ. قالت: فاجتمع إليه مَنْ في المسجد، فصلى بهم رسولُ الله ﷺ ليلاً طويلاً، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، فدخل وترك الحصيرَ على حاله، فلما أصبح الناسُ تحدثوا بصلاة رسول الله ﷺ بمن كان معه في المسجد تلك الليلةَ. قالت: وأمسى المسجدُ رَاجّاً بالناس، فصلى بهم

رسولُ الله ﷺ العشاءَ الآخرةَ، ثم دخل بيتَه وثبت الناسُ.

قالت: فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**ما شأن الناس يا عائشة؟**» قالت: فقلت له: يا رسول الله، سمع الناسُ بصلاتك البارحةَ بمن كان في المسجد، فحَشَدوا لذلك لتصلي بهم. قالت: فقال: « **اطْـــوِ عنّا حصيرَك يا عائشة**» قالت: ففعلت، وبات رسولُ الله ﷺ غيرَ غافلٍ، وثبت الناسُ مكانَهم، حتى خرج إليهم رسولُ الله ﷺ إلى الصبح، فقالت: فقال: « **أيها الناسُ، أمَا والله ما بتُّ والحمد لله ليلتي هذه غافلاً، وما خَفيَ عليَّ مكانُكم، ولَكني تخوَّفْتُ أن يُفْتَرَضَ عليكم، فاكْلَفُوا من الأعمال ما تُطيقون، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا** ».

قال: وكانت عائشةُ رضي الله عنها تقول: إنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أَدْوَمُها وإن قَلّ .

وفي رواية عند البخاري: أن رسولَ اللهﷺ صلى ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول اللهﷺ، فلما أصبح قال: « **قد رأيت الذي صنعتم، ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تُفْرَض عليكم** »

وذلك في رمضان.

وفي رواية أخرى عنده: أنهم صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثا حتى إذا كان بعد ذلك جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج فلما أصبح ذكر ذلك الناس، فقال: « **إني خشيت أن تُكْتَب عليكم صلاةُ الليل** » .

وفي رواية أخرى عند الشيخين: فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: « **أما بعد فإنه لم يَخْفَ عليَّ مكانكم لكني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها**» زاد في رواية: فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك[1].

---

(١)أخرجه **أحمد** ٦/٢٦٧، **ومحمد بن نصر** في مختصر قيام الليل (٧)، **والطبراني** في الأوسط (٥٢٨١). جميعا من طريق محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فانتفت شبهة التدليس .

وتابعه محمد بن عمرو بن علقمة عند **أبي داود** مختصراً في كتاب: الصلاة، باب: في قيام شهر رمضان (١٣٧٤)، **وأحمد** ببعضه ٦/٦١، فصح الإسناد.
وتابع التيميَّ: سعيدُ بنُ أبي سعيد المقبريُّ، فرواه مختصراً عن أبي سلمة، و لم يذكر فيه رمضان، أخرجه **البخاري** في كتاب: الأذان، باب: صلاة الليل (٧٣٠)، وكتاب: اللباس، باب: الجلوس على الحصير ونحوه- -(٥٨٦١)،

معـاني المفـردات :

أوزاعاً: متفرقين، والمعنى أنهم كانوا يتنفلون في المسجد بعد صلاة العشاء متفرقين، كل إنسان يصلي لنفسه.

الشيء من القرآن: بعض السور أو الآيات التي يحفظها.

أنصب له حصيرا على باب حجرتي: يعني أرفع له حصيرا أضعه عند باب الحجرة، ليصلي عليه .

العشاء الآخرة: صلاة العشاء، حيث كانوا يطلقون على صلاة المغرب: العشاء الأولى.

ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (٧٨٢/٢١٥)، **والنسائي** في كتاب: القبلة باب: المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة ٦٨/٢.

وتابع أبا سلمة: عروة بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن:

أما حديث عروة فأخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد (٩٢٤)، وفي كتاب: صلاة التراويح، باب فضل قيام رمضان (٢٠١١-٢٠١٢)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦١/١٧٧-١٧٨) .

وأما حديث عمرة فأخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: تحريض النبي على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب (١١٢٩) .

راجّاً بالناس: ممتلئاً بالناس، **والرَّجُّ**: الاضطراب والحركة، وقد جاء في إحدى روايات الصحيح: فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح.

ثبت الناس: أي بقوا في المسجد و لم يرجعوا إلى بيوتهم بعد أن دخل النبي ﷺ منزله.

البارحة: الليلة الماضية.

حشدوا: تجمعوا وتأهبوا، وذلك من أجل الصلاة خلف النبي ﷺ.

اطوِ عنّا حصيرك: اجمعيه بعضه على بعض وارفعيه من مكانه، وذلك لإظهار أنه ﷺ لن يصلي بهم هذه الليلة.

بات رسول الله ﷺ غير غافل: تعني أنه ﷺ لم ينم تلك الليلة، وإنما قام يصلي، لكنه صلى وحده و لم يؤمهم في تلك الليلة كما أمَّهم فيما سبقها.

اكْلَفوا من الأعمال ما تطيقون: بفتح اللام في (اكلَفوا) أي تحملوا، يقال: كلفتُ بهذا الأمر أكلَف به: إذا ولعتُ به وأحببته. **والمقصود**: اعملوا الأعمال التي تطيقون الصبر عليها والمداومة عليها .

فإن الله لا يَمَل حتى تملُّوا: معناه: أن الله لا يمل أبداً، سواء مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: حتى يشيب الغراب ويبيَضَّ القار.

وقيل: معناه أن الله لا يطِّرِحكم حتى تتركوا العمل، وتزهدوا في الرغبة إليه، فسمى الفعلين (فعل العبد وفعل الله) مللا، وكلاهما ليس بملل، كعادة العرب في وضع الفعل في موضع الفعل إذا وافق معناه.

وقيل: معناه: إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله مللاً على طريق الازدواج في الكلام، كقوله تعالى **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** (الشورى: ٤٠) وقوله تعالى **﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾** (البقرة: ١٩٤) .

الوقفـة الأولى
حكم قيام الليل وفضيلته

في الليل يهدأ الكون، ويركن الخلق، ويتجلى الرب سبحانه وتعالى، وينزل إلى السماء الدنيا، يغفر لمن يستغفر، ويعطي من سأله ويستجيب لمن دعاه .

والليل محراب العابدين، ومثوى الساجدين، وروضة الْمُخْبِتين، يناجون ربهم بلذيذ كلامه، ويسألونه من واسع عطائه، ويُعَفِّرون جباههم بِذُلِّ التوبة وعِزِّ العبودية لله رب العالمين، ويَحْنون رؤوسهم لقهَّار السماوات والأرضين، وملك الملوك، دموعهم تبتلُّ منها لحاهم، وأيديهم ضارعة، وقلوبهم واجفة، ونفوسهم مولعة، يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه، على حد وصف رب العزة جل وعلا﴿**أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه**﴾ (الزمر:٩). ولسان حالهم يقول:

سهر العيون لغير وجهك باطل

وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

أولئك هم عباد الرحمن ﴿ **الذين يبيتون لربهم سجداً وقياما** ﴾ (الفرقان:٦٤)، فليلهم بين سجود وقيام؛ لأنهم يعلمون أن الليل ساحة القرب من المحبوب، وأن السجود أكمل حالات الاتصال به والقرب منه والمناجاة له، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء** » (١).

صلاة النبي ﷺ بالليل:

في الليل كان الحبيب المحبوب نبي الرحمةﷺ - الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - يقف في خشوع وضراعة ومناجاة ومناداة، حتى تتشقق قدماه، ويقال له، فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا** » (٢).

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٢/٢١٥).

(٢) **الحديث عن المغيرة بن شعبة**، أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: قيام النبيﷺ من الليل (١١٣٠)، وكتاب: التفسير، سورة الفتح، باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٤٨٣٦)، وكتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف (٤٦٧١)، **ومسلم** في كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨١٩/٧٩-٨٠) .

وتسأله أم المؤمنين عائشة، وهي ترى شدة اجتهاده وتفطر أقدامه : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فتكون الإجابة الكريمة: « **أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا** »[1].

وروى عطاء بن أبي رباح أن عبيد بن عمير قال لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ. قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلَة من الليالي قال: « **يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي** » قلت: والله إني لأحب قربَك، وأحب ما سرَّك.

قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حجره. قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال: « **أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر**

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التفسير، سورة الفتح، باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٤٨٣٧)، **ومسلم** في الموضع السابق (٨١/٢٨٢٠).

فيها﴿ إن في خلق السماوات والأرض ﴾ » الآية كلها[1] .

وقد وصفه عبد الله بن رواحة ﷺ، فقال:

وفينا رســـول الله يتلـــو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهـــدى بعد العمى فقلوبـــنا
بـــه موقنات أن ما قال واقـــــع
يبيت يُجـــافي جنبَـــه عن فراشـــه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[2]

وكان أصحابه ﷺ يراقبون عمله، وكيف كان دائم القيام بالليل في كل أحواله، حتى إنهم ليعدون الليالي التي لم يقم فيها، فعن جندب بن عبد الله ﷺ قال: اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلةً أو ليلتين [3].

وهو ﷺ حين يشتكي لا يدع القيام جملة، إنما يقضي ذلك بالنهار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٢٠).

(٢) جزء من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: فضل من تعارّ من الليل فصلى (١١٥٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: ترك القيام للمريض (١١٢٤).

ﷺ إذا صلى صلاةً أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح ولا صام شهرا كاملاً غير رمضان [1] .

دعوته أهل بيته لقيام الليل: وهوﷺ لا يكتفي بما يفعله لنفسه، بل يستجيب لأمر ربه﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ (طه:١٣٢) فيقوم داعياً إلى إيقاظ نسائه لقيام الليل، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبيﷺ ذات ليلة، فقال: «**سبحان الله ! ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ وماذا فتح من الخزائن ؟ أيقظوا صواحبات الْحُجَر، فرُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة** » [2].

وصواحبات الْحُجَر هن أزواجه الكريمات، أمهات

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل (١٤١-١٣٩/٧٤٦) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: العلم والعظة بالليل (١١٥)، وفي كتاب: التهجد (١١٢٦)، وكتاب: المناقب (٣٥٩٩)، وكتاب: اللباس (٥٨٤٤)، وكتاب: الأدب (٦١٢٨)، وكتاب: الفتن (٧٠٦٩) .

المؤمنين، رضوان الله عليهن. وربما نامت إحداهن ولم تقْوَ على مثل عمله، فيصلي، حتى إذا أراد أن يوتر أيقظها فأوترت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: « **قومي فأوتري يا عائشة**» [1].

دعوته أصحابه لقيام الليل: كان ﷺ يدعو أصحابه إلى ذلك، والأحاديث في حثه ﷺ على قيام الليل كثيرة، حتى عدَّه النبي ﷺ أفضل التطوع بعد الفريضة.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل** » .

وفي رواية أنه ﷺ سئل: أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ وأي الصيام أفضل بعد شهرِ رمضان ؟ فقال: «**أفضلُ الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاةُ في جوف الليل وأفضلُ الصيام**

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل (٧٤٤/١٣٤-١٣٥)، و**البخاري** في كتاب: الوتر، باب: إيقاظ النبي ﷺ أهله بالوتر ٤٨٧/٢ (٩٩٧).

بعد شهر رمضان صيامُ شهر الله المحرم » (1).

ولم لا يكون قيام الليل بهذه المنزلة وقد ربط النبي ﷺ بين الصائم وبين المجاهد الذي استشهد في سبيل الله، فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **عجب ربنا عز وجل من رجلين: رجل ثار عن وِطائه** (أي فراشه) **ولحافه من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته، فيقول ربنا: أيا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ! ثار من فراشه ووطائه ومن بين حبه وأهله إلى صلاته؛ رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي.**

ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار (يعني من إثم التولي عند الزحف) **وما له في الرجوع** (يعني من الأجر)، **فرجع حتى أهريق دمه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي ! رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي، حتى أهريق دمه »** (2).

ولم لا يكون قيام الليل بهذه المنزلة وقد وصف الله تعالى

---

(1) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل صوم المحرم (١١٦٣/٢٠٢-٣).

(2) أخرجه أحمد ٤١٦/١، وصححه ابن حبان (٢٥٥٨).

أهل الدرجات العالية بأنهم **﴿تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾** (السجدة:١٦) وبأنهم **﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون﴾** (الذاريات:١٧).

و لم لا يكون كذلك والمولى عز وجل يترل إلى السماء الدنيا فيكلم الرُّكَّع السجود القائمين، بألذِّ خطابٍ وأكرم حديث، فعن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله يُمْهِل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا، فيَقول: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر** » [1] .

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ: « **يترل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له ؟ من ذا**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (١٧٢/٧٥٨). وأخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل (١١٤٥)، وفي كتاب: الدعوات، باب: الدعاء نصف الليل (٦٣٢١)، وفي كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى **﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾** (٧٤٩٤) .

الذي يسألني فأعطيَه ؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » .

وفي لفظ: « **إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا** » الحديث .

وفي لفظ: « **ينزل الله في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فأعطيه ؟ ثم يقول:من يُقْرِض غير عديمٍ ولا ظلوم**»[1]

ولا يكتفي ﷺ بالدعوة والترغيب، بل يتابع تنفيذهم لتوجيهاته، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلةً، فقال: « **ألا تصليان ؟** » فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا (أي إن شاء أن يوقظنا أيقظنا). فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليَّ شيئاً، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول**﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾** [2].

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٧٥٨/١٦٨-١٧١) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على قيام الليل (١١٢٧) .

ولما قصت حفصة بنت عمر عليه ﷺ الرؤيا التي رآها أخوها عبد الله قال: « **نعم الرجلُ عبدُ الله لو كان يصلي من الليل** » فكان عبد الله بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلا [1].

وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص: « **يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم من الليل فترك قيام الليل** » [2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجلٌ، فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة. فقال: « **بال الشيطان في أذنه** » [3].

فأما في رمضـــان فصلاة القيام في لياليه سنة للرجال والنساء آكد من بقية الأيام، تؤدى بعد صلاة العشاء وقبل الوتر، ووقتها مستمر إلى آخر الليل .

---

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري في كتاب: قيام الليل، باب: فضل قيام الليل (١١٢٢)، وباب: فضل من تعارّ من الليل فصلى (١١٥٧) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه (١١٥٢)، ومسلم في كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر (١١٥٩/١٨٥) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: إذا نام و لم يصل بال الشيطان في أذنه (١١٤٤)، وفي كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٠) .

اجتهاده ﷺ في العبادة و القيام في رمضان :

كان ﷺ إذا دخل شهر رمضان اجتهد في العبادة وجاد بالخير، فكان أجود من الريح المرسلة، وتعهَّد مع أمين السماء جبريل – عليه السلام – القرآن، وأقبل على الله بكُلِّيَّته، وكان يُبَشِّر أصحابه بهذا الشهر ويرغبهم فيه، وكان يكثر في صيامه خلوته بربه لمناجاته وذكره، فيفتح الله عليه من موارد أنسه، ونفحات قدسه، فكان يَرِدُ على قلبه من المعارف الإلهية، والمنح الربانية، ما يغذيه، وعن الخلق يغنيه وعن الطعام والشراب يرويه، حتى إنه ليواصل الصيام أياماً متتابعة، وهو ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون: إنك تواصل يا رسول الله ؟ فيقول ﷺ: « **إني لست كهيئتكم، إني أبيت لي مُطعِمٌ يطعمني، وساقٍ يسقيني** » أو يقول: «**إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني** » [1].

---

(١) جاء ذلك عن عدد من الصحابة منهم أنس، وابن عمر، وأبو سعيد، وعائشة، وأبو هريرة ﷺ. أخرج أحاديثهم جميعا: **البخاري** في كتاب: الصوم، باب: الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، وباب: التنكيل لمن أكثر الوصال، وباب: الوصال إلى السحر (١٩٦١: ١٩٦٧) .

ثم هو مع هذا الصوم قائم بالليل لا يكاد يفوِّت منه شيئا.

وقد رغَّب النبي ﷺ في قيام ليالي رمضان ترغيباً عظيما وبيَّن فضلها بيانا ضافياً، وذلك في جملة من الأحاديث منها:

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** »[1].

وفي رواية عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُرَغِّب في قيام رمضانَ من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: « **من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه** » فتُوُفِّي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر على ذلك[2].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه**

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الإيمان، باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان (٣٧)، وفي كتاب: صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان (٢٠٠٨-٢٠٠٩)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (١٧٣/٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في نفس الموضع (١٧٤/٧٥٩) .

كيوم ولدته أمه » [1].

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: « **أيها الناس، قد أظلكم شهرٌ عظيمٌ، شهرٌ مبارَكٌ، شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، جعل الله صيامَه فريضةً، وقيامَ ليله تطوعاً، مَنْ تقرَّب فيه بخَصْلَة من الخير كان كمن أدَّى فريضةً فيما سواه، ومَنْ أدَّى فيه فريضةً كان كمن أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه ...** » الحديث [2].

الصحابة يقتدون به ﷺ في الاجتهاد:

رأى أصحابه رضوان الله عليهم اجتهاده وتشميره ﷺ، فحرصوا على متابعته والاقتداء به ﷺ، فلما رأوه يقوم الليل في رمضان، وسمعوا قراءته تنادَوْا واجتمعوا فصلوا خلفه، وسمع مَنْ لم يحضر تلك الليلة فعزموا على متابعة إخوانهم السابقين،

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب: الصيام، باب: ثواب من قام رمضان إيمانا واحتسابا ٤/١٥٨ من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، وقال النسائي: هذا خطأ والصواب: أبو سلمة عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه ابن خزيمة - وقال: إن صح الخبر - (١٨٨٧). ولأكثره شواهد .

فكثر الناس في الليلة الثانية، ثم الثالثة، حتى امتلأ بهم المسجد، من شدة حرصهم على الخير، وخشي الحبيب ﷺ أن تكون مداومتهم على الصلاة خلفه سبباً لأن يفرض الله عليهم قيام الليل، ثم يعجزوا عن متابعة ذلك ويقصروا فيه، فيقعوا في الإثم، فلم يخرج إليهم في ليلته تلك، وظلوا مجتمعين ينتظرونه حتى طلع الفجر، فخرج عليهم فصلى بهم الفجر، وبيّن لهم السبب في عدم خروجه عليهم .

لقد ظل ﷺ ليله قائماً في بيته، لم يخْفَ عليه اجتماعُ أصحابه، وشوقُهم لخروجه، ورغبتُهم العظيمة في القيام وراءه، والتلذذ بسماع القرآن ينساب عذباً سلسالا على لسانه الطيب الطاهر، لكن رحمته بأمته، وخوفه على أتباعه أن يكلفوا بقيام الليل، ويُفرَض عليهم، فيشتد عليهم ذلك، فيقصروا فيه، هو الذي حدا به ﷺ إلى عدم الخروج، فما أعظمه من رسول ! وما أكرمه من نبي ! وصدق الله العظيم إذ يقول **﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾** (التوبة:١٢٨) .

فلما توفي رسول الله ﷺ، وكمل الدين، وأُمن من افتراض ذلك على الأمة أخذ المسلمون في متابعة هذه السنة الكريمة

منفردين، حتى جمعهم عمر بن الخطاب ﷺ على قارئ واحد، ولم يزلْ ذلك دأب الصالحين من هذه الأمة في هذا الشهر المبارك، يتنادون دائما:

يا نائم الليل كم ترقـــــد
قم يا حبيبي قد دنا الموعـــد

وخـــــذ من الليل وأوقاته
وردّدْ إذا ما هجـــع الرُّقّـــد

من نـــام ليله حتى ينقضي
لم يبلـــغ المنـــزل أو يجهـــد

قل لذوي الألباب أهل التقى
قنطـــرة العرض لكم موعـــد

فقيام الليل سبب لمغفرة الذنوب، والخروج منها تماما، وكأنما هو مغسلة روحية، يخرج العبد منها أنقى ما يكون من الذنوب، وأصفى ما يكون قلباً، يستقبل الحياة بروح جديدة كلها فطرة نقية وطبيعة سوية، ويستأنف العمل على نور من ربه. ولله در القائل:

يا ليل قيامك مدرسة فيها القرآن يدرســـني

مـــعنى الإيمان فألزمه نـــهجاً بالجنة يُجْلسني
ويبصِّرني كيف الدنيا بالأمل الكاذب تغمَسني
فأباعـــدها وأعاندها وأراقـــبها تتهجـــسني
فأشد القلب بخالقـــه والذكر الدائم يحرسني

وفي عذوبة ورقة يصف ابن الرومي رحمه الله أولئك القيام الركع السجود فيقول :

تتجـــافى جنوبـــــهم عن وطيء المضاجعِ
كلهم بين خـــــائف مستجـــير وطـــامعِ
تركـــوا لـــذة الكرىَ للعيـــون الهواجعِ
وراعـــوا أنجمَ الدُّجى طالـــعاً بعد طـــالعِ
لو تـــراهم إذا هُـــمُ خـــطروا بالأصـــابعِ
وإذا هـــم تأوَّهـــوا عند مُـــرِّ القـــوارعِ
وإذا باشـــروا الثّرى بالخـــدود الضـــوارعِ
واستهلّت عيونـــهم فائضـــات المـــدامـــعِ
ودعـــوْا: يا مليكَـــنا يا جـــميل الصنـــائعِ
اعْـــفُ عنا ذنـــوبَنا للوجـــوه الخواشـــعِ
اعْـــفُ عنا ذنـــوبَنا للعيـــون الدوامـــعِ
أنت - إن لم يكـــن لنا شـــافعٌ - خيرُ شافعِ

فأُجـــــيبوا إجـــابــةَ لم تقـــــع في المسامعِ
ليس ما تصنـــــعونـــه أوليـــــائي بضـــائعِ
تاجــــــروني بطـــاعتي تربـــحوا في البضائعِ
وابـــذلوا لي نفوسكم إنـــها في ودائــــــعي

حكم قيام الليل للنبي ﷺ :

قد عرفنا أن قيام الليل لعموم الأمة من السنن المستحبة وأنه آكد في رمضان من غيره، فهل هذا الحكم هو نفسه بالنسبة للنبي ﷺ ؟

اختلف العلماء في هذا الأمر على قولين، **أحدهما**: أن القيام في حقه ﷺ كان فريضة، **والقول الثاني**: أنه كان نافلة لا فريضة، والطائفتان احتجوا بقوله تعالى **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** (الإسراء:٧٩).

فالقائلون بوجوب القيام وفرضيته على النبي ﷺ قالوا: أمره بالتهجد في هذه السورة كما أمره في قوله تعالى**﴿ يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا﴾** (المزمل:١-٢) و لم يجئ ما ينسخه عنه، وأما قوله تعالى**﴿ نافلةً لك﴾** فلو كان المراد به التطوع لم

يخصه بكونه نافلة له، وإنما المراد بالنافلة الزيادة، ومطلق الزيادة لا يدل على التطوع، كما في قوله تعالى**﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾** (الأنبياء:٧٢) أي زيادة على الولد، وكذلك النافلة في تهجد النبي ﷺ زيادة في درجاته وفي أجره، ولهذا خصه بها، فإن قيام الليل في حق غيره ماحٍ ومكفِّرٌ للسيئات، وأما النبي ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب، وغيره يعمل في التكفير. أخرج ابن المنذر في تفسيره بسنده إلى مجاهد قال: ما سوى المكتوبة فهو نافلة؛ من أجل أنه لا يعمل في كفارة الذنوب. وليست للناس نوافل، إنما هي للنبي ﷺ خاصة، والناس جميعا يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها.

وأخرج بسنده إلى الحسن في قوله تعالى**﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** قال: لا تكون نافلة الليل إلا للنبيﷺ .

وذكر عن الضحاك قال: نافلة للنبيﷺ خاصة.

وعن أبي أمامة قال: إذا وضعتَ الطهور مواضعه قعدتَ مغفوراً لك، فإن قام يصلي كانت له فضيلةً وأجرا. فقال رجل: يا أبا أمامة، أرأيت إن قام فصلي تكون له نافلة ؟ قال: لا، إنما النافلة للنبيﷺ، كيف تكون له نافلة وهو يسعى – في

رواية: يشقى - في الذنوب والخطايا؟ تكون له فضيلة وأجرا[1].

قال ابن القيم: والمقصود أن النافلة في الآية لم يُرِدْ بها ما يجوز فعلُه وتركُه كالمستحب والمندوب، وإنما المراد بهَا الزيادةُ في الدرجات، وهذا قدرٌ مشتركٌ بين الفرض والمستحب، فلا يكون قوله **﴿نافلة لك﴾** نافيا لما دل عليه الأمر من الوجوب .

ولم يكن ﷺ يدَع قيام الليل حضراً ولا سفرا، وكان إذا غلبه نومٌ أو وجعٌ صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، كما أخرجه مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها [2].

لكن يُتَعَقَّب ذلك بأن مقتضاه أن الرواتب التي واظب عليها النبي ﷺ كانت واجبة في حقه، ولا قائل بذلك [3].

وقال الآخرون: قوله**﴿ نافلة لك ﴾** صريح في عدم الوجوب. ولا يمكن أن يكون معناه فريضة زائدة على الفريضة الموظفة على الأمة، كما يقول أصحاب القول الأول

قال القرطبي في التفسير: في هذا التأويل بُعْدٌ لوجهين:

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٥٥، والطبراني في الكبير (٨٠٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع ٢٢٣/٨: « رجاله موثقون » .

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣٢٢/١-٣٢٤. وقد سبق تخريج الحديث.

(٣) قاله ابن حجر في التلخيص الحبير ١١٩/٣ .

أحدهما: تسمية الفرض بالنفل، وذلك مجاز لا حقيقة. الثاني: قوله ﷺ: « **خمس صلوات فرضهن الله على العباد** » وقوله تعالى في الحديث القدسي: « **هن خمس وهن خمسون، لا يبدل القول لدي** » وهذا نص، فكيف يقال: افترض عليه صلاة زائدة على الخمس ؟ هذا مالا يصح، وإن كان قد روي عنه عليه السلام: « **ثلاث عليَّ فريضةٌ ولأمتي تطوُّعٌ: قيامُ الليل، والوتر، والسواك** » [1].

والذي يرتاح إليه القلب: هو أن صلاة الليل نافلة له ﷺ كما هي نافلة لغيره، وإنما كانت في الابتداء واجبة عليه وعلى المسلمين عموما، ثم نسخ الوجوب، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة كما قالت عائشة رضي الله عنها، فعن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ. فقالت: ألست تقرأ ﴿**يا أيها المزمل**﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن

---

(١) هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٦٦)، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨: « فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو كذاب ». وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ١٢٠/٣: ضعيف جدا لأنه من رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني ...وقد قال الطبراني: إن موسى تفرد به .

الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي اللهﷺ وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة   الحديث[1].

وعلى هذا يكون الأمر بالتنفل في الآية على جهة الندب ويكون تخصيص النبيﷺ بالخطاب؛ لأنه مغفور له، فهو إذا تطوع بما لا يجب عليه كان ذلك زيادة في درجاته، وغيره من الأمة تطوعُهم كفاراتٌ وتداركٌ لخللٍ يقع في الفرض.

قال ابن حجر: حكى النووي في زياداته عن الشيخ أبي حامد أن الشافعي نص على أنه نسخ وجوبه في حقهﷺ، كما نسخ في حق غيره. قال: وهذا هو الأصح أو الصحيح، وفي صحيح مسلم ما يدل عليه[2].

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل (٧٤٦/١٣٩-١٤١).

(٢) التلخيص الحبير ١٢٠/٣. ويقصد بما في صحيح مسلم حديث عائشة المذكور.

الوقفة الثانية
صلاة قيام رمضان في جماعة

دل حديث الباب على مشروعية الجماعة في صلاة القيام في رمضان، حيث ذكرت عائشة أن الناس صلوا بصلاة رسول الله ﷺ ليلتين أو ثلاثا، ثم امتنع من الخروج إليهم حين احتشدوا في الليلة الرابعة؛ خشية أن تُفْرَض عليهم صلاة القيام، وقد روي مثل ذلك عن زيد بن ثابت وغيره، فقد أخرج الشيخان عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة – قال: حسبت أنه قال من حصير – في رمضان، فصلى فيها ليالي، فصلى بصلاته ناسٌ من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم فقال: «**قد عرفتُ الذي رأيتُ من صنيعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاةُ المرء في بيته إلا المكتوبة**» وفي رواية: فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، وحصبوا الباب، فخرج إليهم مُغْضَباً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خيرَ صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة**».

وفي رواية: فظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم، فقال : « **ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم، حتى خشيتُ أن يكتبَ عليكم، ولو كُتب عليكم ما قمتم به، فصلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة** »[١].

وقد كان النبي ﷺ يصلي في كل سنة ببعض أصحابه أو بأهله وخصوصاً في العشر الأواخر من رمضان في الليالي الفردية منها:

فعن أبي ذر ﵁ قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئا من الشهر، حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله لو نَفّلْتنا قيام هذه الليلة. قال: فقال: « **إن الرجل إذا صلى مع**

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأذان، باب: صلاة الليل (٧٣١)، وفي كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب (٦١١٣)، وفي كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال (٧٢٩٠)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٢١٣/٧٨١).

الإمام حتى ينصرف حسبَ له قيام ليلة» قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهلَه ونساءَه والناسَ فقام بنا، حتى خشينا أن يفوتنا الفَلاح. قال: قلت: ما الفلاح؟ قال: السحور. ثم لم يقم بنا بقية الشهر (1) .

قال أبو حاتم ابن حبان: « قول أبي ذر (**لم يقم بنا في السادسة وقام بنا في الخامسة**) يريد مما بقي من العشر لا مما مضى منه، وكان الشهر الذي خاطب النبي ﷺ أمته بهذا الخطاب فيه تسعا وعشرين، فليلة السادسة من باقي تسع وعشرين تكون ليلة أربع وعشرين، وليلة الخامسة من باقي تسع وعشرين تكون ليلة الخامس والعشرين » (2).

وأخرج مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان، فجئتُ فقمتُ إلى جنبه، وجاء رجل آخر فقام أيضا، حتى كنا رهطا، فلما أحس النبي ﷺ أنّا خلفه

---

(1) أخرجه **أحمد** ٥/١٥٩-١٦٣،١٦٠، **وأبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: في قيام شهر رمضان (١٣٧٥)، **والترمذي** -وقال: حسن صحيح - في كتاب: الصوم، باب: ما جاء في قيام شهر رمضان (٨٠٦)، **وصححه ابن خزيمة** (٢٢٠٦)، **وابن حبان** (٢٥٤٧) .

(2) صحيح ابن حبان ٦/٢٨٩ .

جعل يتجوَّز (أي يخفف) في الصلاة ثم دخل رحْلَه (أي منزله)، فصلى صلاة لا يصليها عندنا. قال: قلنا له حين أصبحنا: أَفَطِنْتَ لنا الليلة؟ قال: فقال: « **نعم ذاك الذي حملني على الذي صَنعت** » ... (١).

وعن النعمان بن بشير ﷺ أنه قال على منبر حمص: قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننَّا أن لا ندرك الفَلاح. قال: وكنا ندعو السحورَ الفلاح. فأما نحن فنقول: ليلة سبع وعشرين، وأنتم تقولون: ليلة ثلاث وعشرين السابعة، فمن أصوب نحن أو أنتم؟ (٢).

قال الحاكم في المستدرك تعليقا على حديث النعمان: «فيه الدليل الواضح أن صلاة التراويح في مساجد المسلمين سنة

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم (٥٩/١١٠٤).

(٢) أخرجه **أحمد** ٢٧٢/٤، **والنسائي** في كتاب: قيام الليل، باب: قيام شهر رمضان ٢٠٣/٣، وصححه **ابن خزيمة** (٢٢٠٤)، **والحاكم** (١٦٠٨) وقال: على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بأنه ليس على شرط واحد منهما، بل هو حسن .

مسنونة، وقد كان علي ابن أبي طالب يحث عمر رضي الله عنه على إقامة هذه السنة إلى أن أقامها » [1].

وأقرَّ النبي ﷺ من صلى القيام بالناس جماعة، فدل ذلك على مشروعية الجماعة في قيام رمضان، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء أُبَيٌّ بن كعب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن كان مني الليلة شيء - يعني في رمضان - **قال: « وما ذاك يا أُبَي؟ »** قال: نسوةٌ في داري قلن: إنا لا نقرأ القرآن، فنصليَ بصلاتك. قال: فصليت بهن ثماني ركعات ثم أوترت. قال: فكان شبهَ الرضا، و لم يقل شيئا [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا أناسٌ في رمضان يصلون في ناحية المسجد، فقال: « **ما هؤلاء؟** » فقيل: هؤلاء ناسٌ ليس معهم قرآنٌ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ يصلي، وهم يصلون بصلاته. فقال النبي ﷺ: « **أصابوا ونعم ما**

---

(١) المستدرك ٦٠٧/١ .

(٢) أخرجه أبو يعلى (١٨٠١)، وعنه ابن حبان (٢٠٤٩-٢٠٥٠)، وقال الهيثمي في المجمع ٧٤/٢: « رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه في الأوسط ، وإسناده حسن » .

صنعوا »[1].

فهذه كلها دلائل قوية صريحة واضحة في مشروعية صلاة التراويح في جماعة، لكن يتضح منها أن النبيﷺ لم يكن يداوم على الجماعة فيها في رمضان؛ للعلة المذكورة، وهي الخشية من أن يفرض الله هذه الصلاة على المسلمين فيعجزوا عنها، ويقصروا في القيام بها، فلما توفي النبيﷺ زالت العلة، وأُمن من افتراض الصلاة

ومن ثَم **رأى عمر بن الخطاب**رضي الله عنه **أن من الخير جمع الناس على صلاة القيام في المسجد**، ورجح عنده ذلك لما في الاختلاف من تفرق الكلمة، ولأن الاجتماع أنشط لكثير من المصلين، فلم يكن ذلك منهرضي الله عنه ابتداعاً في الدين، ولا زيادة على ما جاء به النبي ﷺ، وقد كان ذلك بمحضر من كبار الصحابة و لم ينكر عليه أحد ذلك، فكان إجماعا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في

(١) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: في قيام شهر رمضان (١٣٧٧) - وقال: هذا الحديث ليس بالقوي، مسلم بن خالد ضعيف . **وصححه ابن خزيمة** (٢٢٠٨)، **وابن حبان** (٢٥٤١) . وله شاهد مرسل أخرجه **البيهقي** ٤٩٥/٢، عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي بمعناه، وقال البيهقي: هذا مرسل حسن .

قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر على ذلك(١). وقد أخرجه البخاري، لكن جعل قوله (فتوفي) إلى آخره من كلام ابن شهاب الزهري .

أما ما فعله عمر فهو ما أخرجه البخاري وغيره عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أُبَيِّ بن كعب، ثم خرجتُ معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (١٧٤/٧٥٩)، وأخرجه البخاري في كتاب: صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان (٢٠٠٩) .

آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله(١).

قال ابن عبد البر: وهذا كله (أي الأحاديث السابقة في صلاة النبي ﷺ ببعض أصحابه وأهله وفي إقراره صلاة أبي ومعاذ في جماعة) يدل على أن قيام رمضان جائز أن يضاف إلى النبي ﷺ لحضِّه عليه وعمله به، وأن عمر رضي الله عنه إنما سنَّ منه ما قد سنَّه رسول الله ﷺ .

وفيما تقدم رد على الروافض الذين يزعمون أن قيام شهر رمضان بدعة لا سنة، وعلى بطلان القول بأن صلاة التراويح في جماعة من فعل عمر، لا من فعل النبي ﷺ؛ إذ قد ثبت بوضوح أن النبي ﷺ قد فعل ذلك، وأقر من فعل ذلك، وأن امتناعه ﷺ من المداومة إنما كان خوفا من افتراض القيام على الأمة فلما أُمن ذلك جمع عمر الناس على إمام واحد، ووافقه على ذلك جمهور الصحابة من غير نكير من أحد منهم فكان ذلك منهم إجماعا على مشروعية بل على استحباب وأفضلية قيام رمضان في جماعة.

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق (٢٠١٠)، ومالك في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضان ١/١١٤(٣) .

صلاة القيام للنساء في جماعة:

دلت الأحاديث السابقة وخصوصا حديث جابر على أنه يشرع للنساء أن يصلين القيام في جماعة خلف أحد الرجال، كما فعل أبي بن كعبﷺ، ويشرع لهن الصلاة مع الإمام في جماعة الناس في المسجد، بل أرى أن ذلك مما ينبغي الاعتناء بشأنه؛ حتى تتاح لهن فرصة التعبد وسماع العلم في المساجد بعد أن خلت البيوت أو كادت أن تخلو معظمها من الدروس الأسرية التي يقوم بها الرجل في بيته مع أهله وأولاده.

بل أرى أن من المهم جداً اصطحاب الأطفال ذكرانا وإناثا إلى المسجد لصلاة القيام برفقة أبويهم؛ ليكون ذلك تدريبا عملياً لهم منذ الصغر على هذا الأمر العظيم.

أيهما أفضل: صلاة قيام رمضان في جماعة أو صلاتها منفردا؟

استدل بعض العلماء بحديث عائشة رضي الله عنها على أن **الأفضل في قيام شهر رمضان أن يفعل في المسجد في جماعة** لكونهﷺ فعل ذلك، وإنما تركه لمعنى قد أُمن بوفاتهﷺ وهو خشية الافتراض. وبهذا قال الشافعي وجمهور أصحابه

وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه فعله عن علي وابن مسعود وأبي بن كعب وسُوَيْد بن غَفَلَة وزاذان وأبي البختري وغيرهم[1]، وقد أمر به عمر بن الخطاب ﷺ، واستمر عليه عمل الصحابة ﷺ وسائر المسلمين وصار من الشعائر الظاهرة كصلاة العيد.

وقد سبقت الأحاديث في فعل عمر بن الخطاب وفي صلاة النبي ﷺ ببعض أصحابه، وفي إقراره صلاة أبي بن كعب ببعض المسلمين، وإقراره صلاة أبي أيضا بنسوة من أهل بيته، وكلها واضحة الدلالة على أفضلية الجماعة في قيام رمضان.

قال الإمام ابن خزيمة: « **باب استحباب صلاة النساء جماعة مع الإمام في قيام رمضان، مع الدليل على أن قيام رمضان في جماعة أفضل من صلاة المرء منفردا في رمضان، وإن كان المأمومون قرآء يقرؤون القرآن، لا كمن اختار صلاة المنفرد على صلاة الجماعة في قيام رمضان** ».

ثم قال بعد أن أشار للأحاديث السابقة: « وفي قولهﷺ

---

(١) **مصنف ابن أبي شيبة**، باب: من كان يرى القيام في رمضان (٧٦٩٣-٧٧٠٦).

«**من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلته**» دلالة على أن القارئ والأمي إذا قاما مع الإمام من صلاته كتب له قيام ليلته، وكَتْبُ قيامِ ليلةٍ أفضلُ من كَتْبِ قيامِ بعض الليل» (١)

وذهب آخرون إلى أن فعلها فرادى في البيت أفضل، لكونه ﷺ واظب على ذلك قبل هذه الليالي وبعدها، وتوفي والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر ﷺ، وإنما وقع تغييره في خلافة عمر سنة أربع عشرة من الهجرة، واعترف عمرﷺ بأنها مفضولة بقوله كما في صحيح البخاري (والتي ينامون عنها أفضل) وفي حديث زيد بن ثابت السابق أنهﷺ قال: « **قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم فصلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة** » وبهذا قال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية، وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عمر وابنه سالم والقاسم بن محمد وعلقمة وإبراهيم النخعي أنهم كانوا لا يقومون مع الناس في شهر رمضان .

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٣/٣٣٩-٣٤٠ .

وعن مجاهد قال: سأل رجل ابن عمر: أقوم خلف الإمام في شهر رمضان؟ فقال: تنصت كأنك حمار (يقصد ﷺ أن قراءته للقرآن في الصلاة أفضل من سماعه من غيره).

وعن إبراهيم النخعي: لو لم يكن معي إلا سورة أو سورتان لأن أرددها أحب إليّ من أن أقوم خلف الإمام في شهر رمضان.

وعن عمر بن عثمان قال: سألت الحسن فقلت: يا أبا سعيد، يجيء رمضان أو يحضر رمضان، فيقوم الناس في المساجد، فما ترى؟ أقوم مع الناس أو أصلي أنا لنفسي؟ فقال: تكون أنت تفوه بالقرآن أحب إلي من أن يُفَاه عليك به[1].

وفصل بعض الشافعية فقال: إن كان حافظا للقرآن ولا يخاف الكسل عنها، ولا تختل الجماعة في المسجد بتخلفه، فالانفراد في حقه أفضل، وإن فقد بعض هذا فالجماعة أفضل. ففي المسألة عند الشافعية ثلاثة أوجه.

وأجاب الأولون بأن ترك المواظبة على الجماعة في التراويح إنما كان لمعنى وقد زال كما تقدم، وقالوا: لم يعترف

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، باب: من كان لا يقوم مع الناس في رمضان (٧٧١٤: ٧٧١٩)، وفي مصنف عبد الرزاق (٧٧٤٢-٧٧٤٥).

عمر ﷺ بأنها مفضولة، وقوله (والتي ينامون عنها أفضل) ليس فيه ترجيح الانفراد ولا ترجيح فعلها في البيت، وإنما فيه ترجيح آخر الليل على أوله، كما صرح به الراوي بقوله: يريد آخر الليل. وقد جاء في إحدى الروايات قوله: في الساعة التي ينامون فيها أعجب إليَّ من الساعة التي يقومون فيها. وفي رواية عنه ﷺ قال: إنكم تدَعون أفضلَ الليل آخرَه. وفي رواية: قال رجل: ذهب الليل. فقال عمر: ما بقي من الليل خير مما ذهب (١).

وقال ابن عباس ﷺ في قيام رمضان: ما يتركون منه أفضلُ مما يقومون فيه(٢).

فهذا كله دال على أن عمر لا يقصد أن الجماعة في قيام رمضان مفضولة، بل يقصد أن قيام آخر الليل أفضل من قيام أوله، ولا خلاف في ذلك.

قال الطحاوي: وكل من اختار التفرد فينبغي أن يكون ذلك على ألا ينقطع معه القيام في المسجد، فأما الذي ينقطع معه القيام في المسجد فلا .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦٥/٢ (٧٧١٣،٧٧١٢،٧٧٠٨) .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦٥/٢ (٧٧٠٩) .

قال: **وقد أجمعوا على أنه لا يجوز تعطيل المساجد عن قيام رمضان**، فصار هذا القيام واجباً على الكفاية، فمن فعله كان أفضل ممن انفرد كالفروض التي على الكفاية.

وفيما ذكره من الوجوب على الكفاية نظر، والذي ذكره صاحب الهداية من الحنفية إنما هو السنية على الكفاية، وعبارته: والسنة فيها الجماعة، لكن على وجه الكفاية، حتى لو امتنع أهل المسجد عن إقامتها كانوا مسيئين ولو أقامها البعض فالمتخلف عن الجماعة تاركٌ للفضيلة؛ لأن أفراد الصحابة ﷺ روي عنهم التخلف. انتهى.

وكلام الليث بن سعد موافق لكلام الطحاوي حيث قال: لو قام الناس في بيوقم ولم يقم أحد في المسجد لا ينبغي أن يخرجوا إليه حتى يقوموا فيه، فأما إذا كانت الجماعة قد قامت في المسجد فلا بأس أن يقوم الرجل لنفسه ولأهل بيته في بيته.

وقال أبو العباس القرطبي بعد ذكره عمل الصحابة بصلاة التراويح في جماعة: ومالك أحق الناس بالتمسك بهذا بناء على أصله في التمسك بعمل أهل المدينة. انتهى.

وحكي عن مالك قبل ذلك أنه كان أولا يقوم في المسجد ثم ترك ذلك، فيكون له في المسألة قولان. والله أعلم

فالراجح على هذا هو فعلها في المسجد، وخصوصا في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن والملهيات، فإن أكثر الناس إذا خلوا بأنفسهم أو عادوا إلى بيوتهم قل نشاطهم للقيام أو انعدم، بخلاف حالهم في المسجد مع الجماعة، حيث ينشط الكسول، ويخف الثقيل، ويحصل النشاط برؤية المصلين الركع السجود، فضلا عما يتم في صلاة الجماعة من تذكرة أو عظة أو نحو ذلك مما يتحقق به الخير الكثير.

لكن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجماعة والجمعة وكذلك المعذور بعذر يبيح له ذلك كالمرض الحابس أو خوف زيادته، أو خوف جور السلطان في مال أو بدن دون القضاء عليه بحق، والمطر الوابل مع الوحل عذر إن لم ينقطع، ومن له ولي حميم قد حضرته الوفاة و لم يكن عنده من يمرضه ونحو ذلك .

واستكمالاً لهذه الوقفة نتناول حكم صلاة النوافل عموما في غير رمضان في جماعة ليلاً أو نهارا:

الأصل في النوافل أن يصليها العبد منفرداً وأن يصليها أو يصلي أكثرها في البيت، وقد كان هذا أكثرَ فعل النبي ﷺ،

لكن **لا مانع شرعاً عند جمهور العلماء** أن يصليها في جماعة، مثلما يحدث في قيام رمضان، وقد أخرج الشيخان قصة مبيت ابن عباس ﵄ عند خالته ميمونة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ وصلاته خلف النبي ﷺ تلك الليلة [1]، وقد كان ذلك تطوعاً، كما جاء صريحاً في رواية عند مسلم عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس ﵄ قال: بتُّ ذات ليلة عند خالتي ميمونة، فقام النبيﷺ يصلي متطوعاً من الليل، فقام النبيﷺ إلى القِرْبة فتوضأ، فقام فصلى، فقمتُ لما رأيتُه صنع ذلك فتوَضأت من القِرْبة، ثم قمتُ إلى شقه الأيسر، فأخذ بيدي من وراء ظهره يعدِلني كذلك من وراء ظهره إلى الشق الأيمن قلت: أفي التطوع كان ذلك؟ قال: نعم [2].

وسئل الإمام مالك عن الرجل يؤم الرجل في النافلة؟ فقال: ما أرى بذلك بأسا [3].

---

(١) انظر القصة برواياتها عند البخاري ٧٢٨،٧٢٦،٦٩٧،١٨٣،١٣٨،١١٧، ٨٥٩، ١١٩٨،٩٢٤، ٦٣١٦،٦٢١٥،٥٩١٩،٤٥٧١،٤٥٧٠،٤٥٦٩، ٧٤٥٢)، ومسلم (٧٦٣/١٨١: ١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في السابق (٧٦٣/١٩٢).

(٣) مختصر قيام رمضان لمحمد بن نصر ص٢٦.

وقال مالك: لا بأس أن يصلى القوم جماعة النافلة في نهار أو ليل. قال وكذلك الرجل يجمع الصلاة النافلة بأهل بيته وغيرهم لا بأس بذلك[1].

وخالف في ذلك أصحاب الرأي، فكرهوا أن يصلي الناس التطوع في جماعة في غير رمضان، وصلاة الكسوف .

وهذا الحديث المذكور حجة عليهم، ففيه التصريح بأن صلاة ابن عباس خلف النبيﷺ كانت تطوعاً، وهناك أحاديث أخرى في ذلك، منها حديث أنس بن مالك ﷺ أن جدته مُلَيْكة دعت رسول اللهﷺ لطعام صنعته له، فأكل منه ثم قال: « **قوموا فلأصلّ لكم** » قال أنس: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لُبس، فنضحتُه بماء، فقام رسول الله ﷺ، وصففتُ واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا .فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف[2].

ولا ريب أن ذلك كان في نافلة؛ إذ الفريضة كان النبي

---

(١) المدونة الكبرى ١/٩٧ .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على الحصير (٣٨٠) وبأرقام (٧٢٧، ٨٦٠، ٨٧١، ٨٧٤، ١١٦٤)، **ومسلم** في كتاب: المساجد ومواضع -الصلاة، باب: جواز الجماعة في النافلة (٢٦٦/٤٥٧) .

ﷺ يصليها جماعة في المسجد. ويدل على أنه لم يكن يصلي بهم المكتوبة ما رواه مسلم عن أنس قال: دخل النبيﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقال: « **قوموا فلأصلي بكم** » في غير وقت صلاة. فصلى بنا...الحديث [١]

والصحيح رأي جمهور العلماء، وقد فعله كثير من الصحابة ﷺ، منهم عمر وابن مسعود وابن الزبير وغيرهم:

فعن عبد الله بن عتبة قال: دخلت على عمر بن الخطاب ﷺ وهو يصلي في الهاجرة (وهي نصف النهار قبل الظهر أو بعده) تطوعاً – في رواية: فوجدته يسبح (أي يصلي نافلة) – فأقامني حذوه عن يمينه، فلم يزل كذلك حتى دخل يَرْفَأ مولاه فتأخرتُ، فصففنا خلف عمرﷺ [٢].

وعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: دخلت مع أبي المسجد، والناس صفوف في صلاة الصبح، فخنَس دونهم فأقامني عن يمينه، فصلى ركعتين، ثم لحق بالصف .

وعن هشام بن عروة قال: رأيت عبد الله بن الزبيرﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٦٦٠/٢٦٨) .

(٢) أخرجه مالك في كتاب: قصر الصلاة في السفر، باب: جامع سبحة الضحى (٣٢)، وعبد الرزاق (٣٨٨٨-٣٨٨٩) .

يؤمهم في المسجد الحرام بالنوافل، ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح، يرون أن ذلك حسن .

قال هشام: إن الإمام كان يؤمهم في المكتوبة، ثم يدخل الدار فيسبح (أي يتنفل) ويسبحون بصلاته، وهو يؤمهم[١].

(١) مختصر قيام رمضان ص٢٥ .

الوقفة الثالثة

عدد ركعات قيام رمضان

قال الترمذي: « اختلف أهل العلم في قيام رمضان :

فرأى بعضهم: أن يصلي إحدى وأربعين ركعة مع الوتر وهو قول أهل المدينة، والعمل على هذا عندهم بالمدينة.

وأكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب النبي ﷺ: عشرين ركعة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي، وقال الشافعي: وهكذا أدركت ببلدنا بمكة يصلون عشرين ركعة.

وقال أحمد: روي في هذا ألوان، و لم يَقْضِ فيه بشيء.

وقال إسحاق: بل نختار إحدى وأربعين ركعة، على ما روي عن أبي بن كعب »[1].

قلت: جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ في رمضان ثمان ركعات والوتر، فلما كان

(١) سنن الترمذي ٣/١٧٠ عقب الحديث (٨٠٦) .

من القابلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج إلينا، فلم نزل في المسجد حتى أصبحنا، فدخلنا على رسول الله ﷺ، فقلنا له: يا رسول الله، رجونا أن تخرج إلينا فتصلّ بنا. فقال: « **كرهت أن يُكْتَب عليكم الوتر** »[1].

وروى مالك عن محمد بن يوسف الكندي عن السائب ابن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب ﷺ أُبَيَّ بنَ كعب وتميماً الداريَّ ﷺ أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة. قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصيِّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر[2]. (يعني بدايات الفجر) .

وجاء في رواية محمد بن إسحاق عن السائب: ثلاث عشرة ركعة، بدل إحدى عشرة [3]. وفي رواية يزيد بن

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (١٠٧٠)، وابن حبان (٢٤٠٩) .

(٢) أخرجه مالك في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضـــان (٤) وهذا إسناد صحيح . ومن طريقه أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٩٣/١ والبيهقي ٤٩٦/٢ . وأخرجه ابن أبي شيبة (٧٦٧١) من طريق يحي القطان .

(٣) مختصر قيام رمضان ص ٤٢ .

خصيفة عنه: بعشرين ركعة[1].

وثبت كذلك أنهم صلوا في عهد عمر عشرين ركعة، فقد روى مالك عن يزيد بن رُومان أنه قال: كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة [2].

وروي صلاة العشرين عن علي، وأبَيٍّ، والحارث، وعطاء، وسعيد بن جبير [3].

وروى ابن أبي شيبة عن ابن مهدي عن داود بن قيس قال: أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز وأبان بن عثمان يصلون ستا وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث [4].

وعن وهب بن كيسان قال: ما زال الناس يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث إلى اليوم في رمضان [5].

وروى ابن أبي شيبة عن حفص عن الحسن بن عبيد الله قال: كان عبد الرحمن بن الأسود يصلي بنا في رمضان أربعين

---

(١) مصنف **عبد الرزاق** (٧٧٢٧) و(٧٧٣٠)، وسنن **البيهقي** ٤٩٦/٢ .

(٢) أخرجه **مالك** في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضـــان (٥) **والبيهقي** ٤٩٦/٢ . ويزيد بن رومان ثقة، لكنه لم يدرك عمر ﷺ .

(٣) انظر مصنف ابن **أبي شيبة** ١٦٣/٢ في باب: كم يصلي في رمضان من ركعة

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٧٦٨٩) .

(٥) مختصر قيام رمضان ص ٤٢ .

ركعة، ويوتر بسبع [1] .

وعن محمد بن سيرين أن معاذاً أبا حليمة القارئ كان يصلي بالناس في رمضان إحدى وأربعين ركعة [2].

وخلاصة ما جاء في قيام رمضان من العدد خمسة أقوال: **أولها:** ثمان وثلاث وتر، **ثانيها:** عشرٌ وثلاث وتر، **ثالثها:** عشرون وثلاث وتر، **رابعها:** ست وثلاثون وثلاث أو خمس أو سبع وتر، **آخرها:** أربعون وثلاث أو سبع وتر[3] .

أما الإمام ابن قيم الجوزية فذهب إلى أن الصواب ما فعله النبي ﷺ وهو صلاة إحدى عشرة أو ثلاث عشرة بالوتر، فقال في زاد المعاد: « وكان قيامهﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة، فإنه ثبت عنهما هذا وهذا:

ففي الصحيحين عنها: ما كان رسول اللهﷺ يزيد في

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٢/١٦٣ (٧٦٨٧) .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٤٣ .

(٣) انظر كل تلك الأقوال في مختصر قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي ص ٤١ -٥١

رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة[1].

وفي الصحيحين عنها أيضا: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن[2].

والصحيح عن عائشة الأول، والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر، جاء ذلك مبينا عنها في هذا الحديث بعينه: كان رسول الله ﷺ يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر. ذكره مسلم في صحيحه [3]. وقال البخاري في هذا الحديث: كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (١١٤٧)، وكتاب: التراويح، باب: فضل من قام رمضان (٢٠١٣)، وكتاب: المناقب، باب: كان النبيﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه (٣٥٦٩)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبيﷺ في الليل (١٢٥/٧٣٨ :١٢٨)، ومالك في كتاب: صلاة الليل، باب: صلاة النبيﷺ في الوتر (١٠) .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: كيف صلاة النبيﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل (١١٤٠)، **ومسلم** - واللفظ له - في السابق (١٢٣/٧٣٧) .

(٣) بل هذا النص عند **البخاري** أيضا في الموضع السابق، وعند **مسلم** (١٢٤/٧٣٧) .

ثم يصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين[١].

وفي الصحيحين عن القاسم بن محمد قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، وذلك ثلاث عشرة ركعة[٢]. فهذا مفسّر مبيّن.

وأما ابن عباس رضي الله عنه فقد اختلف عليه، ففي الصحيحين عن أبي جمرة عنه: كانت صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة، يعني بالليل[٣].

لكن قد جاء عنه هذا مفسرا أنها بركعتي الفجر. قال الشعبي: سألت عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل، فقالا: ثلاث عشرة ركعة، منها ثمان، ويوتر بثلاث، وركعتين قبل صلاة الفجر[٤].

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: ما يُقرأ في ركعتي الفجر (١١٧٠).

(٢) هذا نص رواية **مسلم** في الموضع السابق (١٢٨/٧٣٧).

(٣) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: كيف صلاة النبي ﷺ وكم كان النبي ﷺ يصلي من الليل (١١٣٨)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١٩٤/٧٦٤).

(٤) أخرجه **ابن ماجه** في كتاب: إقامة الصلاة، باب: ما جاء في كم يصلي بالليل (١٣٦١).

وفي الصحيحين عن كريب عنه في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث: أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ، فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين. وفي لفظ: فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن. فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج يصلي الصبح[1].

"فقد حصل الاتفاق على إحدى عشرة ركعة".

ثم بيَّن ابن القيم رحمه الله أن الأربعين ركعة كانت هي مجمل ما يصليه النبي ﷺ في اليوم الواحد بما في ذلك ركعات الفريضة، فقال: « واختلف في الركعتين الأخيرتين هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما؟ فإذا انضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التي كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده الراتب بالليل والنهار أربعين ركعة، كان يحافظ عليها دائما: سبعة عشر فرضا، وعشر ركعات أو ثنتا عشرة سنة راتبة، وإحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل،

---

(١) سبق تخريج حديث مبيته عند خالته ميمونة، والرواية المذكورة أخرجها **البخاري** في كتاب: الوتر، باب: ما جاء في الوتر (٩٢٢).

والمجموع أربعون ركعة، وما زاد على ذلك فعارض غير راتب، كصلاة الفتح ثمان ركعات، وصلاة الضحى، وصلاته إذا قدم من سفر، وصلاته عند من يزوره، وتحية المسجد، ونحو ذلك .

فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الورد دائما إلى الممات، فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة. والله المستعان » (١).

وخلاصة رأي ابن القيم أن السنة التي كان عليها النبيﷺ هي صلاة ثماني ركعات، أو عشر ركعات، ثم صلاة الوتر ثلاث ركعات، وهذا هو الصواب الذي ثبت عنهﷺ في حديثي ابن عباس وعائشة، كما ثبت عنه في أحاديث ابن عمر وزيد بن خالد الجهني وغيرهما .

لكنه لا ينافي ما ثبت عن عمر ﷺ من جمع المسلمين على صلاة عشرين ركعة، وقد كان ذلك بمحضر من كبار الصحابة، فكان كالإجماع، ولا ينافي ما اختاره المالكية من صلاة ست وثلاثين ركعة؛ لأنها نافلة لم يأمر الشارع فيها

---

(١) زاد المعاد ١/٣٦٥: ٣٦٧ .

صراحة بعدد معين من الركعات، والأهم هو إحسان الصلاة وإن قل عدد الركعات، ويرحم الله الإمام الشافعي حيث قال: « رأيت الناس يقومون بالمدينة تسعا وثلاثين ركعة، قال: وأحب إلي عشرون. قال: وليس في شيء من هذا ضيقٌ، ولا حدٌّ يُنْتَهَي إليه، لأنه نافلة، فإن أطالوا القيام وأقلوا الركوع والسجود فحَسَنٌ، وهو أحبُّ إليَّ، وإن أكثروا الركوع والسجود فحسن » [1].

وقال القاضي عياض بعد أن سرد الأقوال في ذلك: « ولا خلاف أنه ليس في ذلك حد لا يزاد عليه، ولا ينقص منه، وأن صلاة الليل من الطاعات التي كلما زاد فيها زاد في الأجر، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه، والله أعلم » [2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر الوجوه المتعددة في المسألة: « وهذا كله سائغ، فكيفما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن. والأفضل يختلف

(١) مختصر قيام رمضان ص ٤٥ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/١٩ .

باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها، كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه في رمضان وغيره هو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر وبين الأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك، ولا يكره شيء من ذلك. وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره.

ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ، فإذا كانت هذه السعة في نفس عدد القيام، فكيف الظن بزيادة القيام لأجل دعاء القنوت أو تركه ؟! كل ذلك سائغ حسن. وقد ينشط الرجل فيكون الأفضل في حقه تطويل العبادة، وقد لا ينشط فيكون الأفضل في حقه تخفيفها » [1].

ولهذا ينبغي ألا ينكر الناس بعضهم على بعض في هذا الأمر ففيه متسع، ولله در الإمام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، فقد حكى ولده الإمام أبو زرعة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٢٧٢-٢٧٣ .

أن أباه لما ولي إمامة مسجد المدينة كان يصلي التراويح أول الليل بعشرين ركعة على مذهب الجمهور، ثم يقوم آخر الليل بست عشرة ركعة على مقتضى مذهب مالك، فيختم القرآن في الجماعة في شهر رمضان ختمتين[1].

فائــدة: بعد هذا العرض لأقوال العلماء ألفت نظرك أيها القارئ الكريم إلى أمر مهم يتعلق بالبدعة، فإن من الناس من يولع بتبديع ما لا علم له به لأدنى شيء، فإذا قرأ حديث عائشة أن النبي ﷺ لم يكن يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، سارع برمي الناس بالبدعة حين يصلون عشرين ركعة أو أكثر أو أقل، وقد رأيت كيف لم يعتبر العلماء أنه بدعة، باعتبار أن الأمر بقيام الليل أمر مطلق وفعل النبي ﷺ بمجرده لا يقتضي الإيجاب، ومن ثم لم ير الصحابة حرجا في الزيادة على ذلك، بل هم شبه المجمعين على ذلك حين فعله عمر ﷺ، فلم ينكره منهم أحد.

ومن هذا نستنتج أن مجرد الزيادة على فعل النبي ﷺ أو

---

(١) طرح التثريب بشرح التقريب ٩٨/٣ .

الانتقاص منه فيما لم يحدده النبي ﷺ لا يعد بدعة، وكذلك فعل ما لم يفعله النبي ﷺ مما لم يأتِ فيه نهيٌ أو لم يلحق بمنهي عنه لا يعد بدعة، وبخاصة إذا شهدت له الأصول الشرعية، ومن ذلك الاجتماع على أذكار الصباح والمساء وقراءة القرآن وقراءة الأذكار على ترتيب معين تسهيلا للحفظ، والدعاء للميت عند القبر أو في أي مكان، وغير ذلك مما طار به بعض الشباب تبديعا وتفسيقا، بدعوى أن النبيﷺ لم يفعل ذلك.

ونقول: وهل نهى النبي ﷺ عنه، وهل هو مصادم لعموم الأوامر الشرعية بالذكر والدعاء والتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؟ .

إن استخدام وسائل مستحدثة أو مبتدعة لأداء عبادات ونوافل لم يحدد لها الشارع وسيلة بعينها، وليست هذه الوسائل أو الأشكال المبتدعة مما يصادم النصوص أو يخالف الأصول الشرعية، هذا أمر لا بأس به، وليس محلا لإنكار الناس بعضهم على بعض، بل هو محل سعة، والله أعلم.

الوقفة الرابعة

مقدار القراءة في صلاة التراويح

يستحب التطويل في القيام والقراءة في صلاة التراويح، خلافاً لما يفعله بعض العوام من التخفيف الكبير الذي يخرج بالقيام عن معناه، وقد كان النبي ﷺ وكان السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ﷺ يطوّلون في القراءة، حتى يكادون أن يفوتهم السحور، كما في حديث أبي ذر وحديث النعمان بن بشير اللذين سبقا.

وفي حديث السائب بن يزيد السابق قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العِصِيِّ من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وأخرج مالك عن عبد الله بن أبي بكر: سمعت أبي يقول: كنا ننصرف في رمضان من القيام، فنستعجل الخدم بالطعام مخافة الفجر[1].

وعن أبي عثمان قال: أمر عمر ﷺ بثلاثة قراء يقرؤون

---

(١) أخرجه مالك في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضان (٧).

في رمضان، فأمر أسرعهم أن يقرأ بثلاثين آية، وأمر أوسطهم أن يقرأ بخمس وعشرين، وأمر أدناهم أن يقرأ بعشرين [1]. يعني في كل ركعة .

وروى مالك عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج (عبد الرحمن بن هُرْمُز) يقول: ما أدركتُ الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان (يعني يدعون عليهم في القنوت) قال: وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفّف[2].

وعن عمران بن حُدَير قال: كان أبو مِجْلَز (لاحِق بن حميد) يقوم بالحي في رمضان يختم في كل سبع[3] .

وعن علي بن الأقمر أن مسروقا قرأ في ركعة من القيام بالعنكبوت .

وعن ابن أبي ملكية قال: كنت أقوم بالناس في شهر رمضان فأقرأ في الركعة ﴿ **الحمد لله فاطر** ﴾ ونحوها، وما

(١) أخرجه عبد الرزاق (٧٧٣٢)، وابن أبي شيبة (٧٦٧٢)، والبيهقي ٤٩٧/٢.
(٢) أخرجه مالك في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضان (٦).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٦٧٧) .

يبلغني أن أحداً يستثقل ذلك.

وعن ورقاء قال: كان سعيد بن جبير يقرأ في كل ركعة بخمس وعشرين آية.

وعن العمري عن أبيه قال كان عمر بن عبد العزيز يأمر الذين يقرؤون في رمضان في كل ركعة بعشر آيات عشر آيات .

وعن عراك بن مالك قال: أدركت الناس في شهر رمضان يربطون لهم الحبال، يستمسكون بها من طول القيام .

وعن الحسن قال: من أمَّ الناسَ في رمضان، فليأخذ بهم اليسر، فإن كان بطيء القراءة فليختم القرآن ختمة، وإن كان قراءته بين ذلك فختمة ونصف، فإن كان سريع القراءة فمرتين[1] .

وعن أبي الأشهب قال: كان أبو رجاء العطاردي يختم بنا في قيام رمضان لكل عشرة أيام [2] .

وعن ميمون بن مِهْران قال: أدركت القارئ إذا قرأ

(١) أخرجها جميعاً ابن أبي شيبة (٧٦٧٨: ٧٦٨٤) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٠٦/٢، وذكره الذهبي في السير ٢٥٧/٤ .

خمسين آية قالوا: إنه ليخفف، وأدركت القراء في رمضان يقرؤون القصة كلها قصرت أو طالت، فأما اليوم فإني أقشعر من قراءة أحدهم، يقرأ ﴿ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ (البقرة:١١) ثم يقرأ في الركعة الأخرى ﴿ **ألا إنهم هم المفسدون** ﴾[1](البقرة:١٢) .

فهو رحمه الله يعيب على أولئك القراء الذين من فرط استعجالهم ربما قرؤوا آية أو بعض آية لم يتم بها المعنى المراد، ثم أتموا الآية أو أتموا المراد في ركعة تالية، فهم يفصلون بين القسم والْمُقْسَم عليه، وبين الشرط وجزاء الشرط، ونحو هذا مما لا ينبغي.

وقال عبد الرحمن بن القاسم: سئل مالك عن قيام رمضان، بكم يقرأ القارئ؟ قال: بعشر عشر، فإذا جاءت بالسور الخفيفة فلْيَزْدَدْ، مثل الصافات، وطسم. فقيل له: خمس آيات. قال: بل عشر آيات.

وقال أبو داود: سئل أحمد عن الرجل يقرأ القرآن مرتين في رمضان يؤم الناس؟ قال: هذا عندي على قدر نشاط القوم،

(١) ذكره محمد بن نصر في مختصر قيام رمضان ص ٥٣ .

وإن فيهم العمال [1].

وليس المقصود مما سبق الإثقال على الناس أو إرهاقهم بل المقصود التأكيد على ضرورة الاجتهاد في هذا الشهر المبارك، وإلا فلو أدى التطويل في القراءة إلى فتنة أو إلى امتناع الناس من الصلاة أو نحو ذلك فإن على الإمام أن يخفف ويراعي أحوال الناس، وفي الحديث أن النبيﷺ قال لمعاذ لما شكا الناس تطويله وأنه يقرأ عليهم بسورة البقرة: « **أفتان أنت يا معاذ** »[2].

وإنما جاز التطويل في هذه الصلاة دون صلاة الفريضة لأنها نافلة وتطوع، لا ينشط لها إلا من أراد رفعة درجته وزيادة حسناته، ثم لأنها في الليل وهو مستراح العابدين، وأنس المقربين من رب العالمين، وقد كان الحبيب المصطفى ﷺ

---

(١) ذكرها محمد بن نصر في مختصر قيام رمضان ص ٥٣ .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأذان، باب:إذا طول الإمام وكان للرجل حاجة فخرج فصلى (٧٠١)، وباب: من شكا إمامه إذا طول (٧٠٥)، وكتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٦١٠٦)، **ومسلم** في كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء (٤٦٥/١٧٨-١٨١) .

يُحَسِّنها ويطولها ويبالغ في ذلك.

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً فلا تَسَلْ عن حُسْنهنَّ وطُولهنَّ، ثم يصلي أربعاً فلا تسلْ عن حسنهنَّ وطولهنَّ، ثم يصلي ثلاثا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: « **يا عائشة إن عينيَّ تنامان، ولا ينام قلبي** »[1].

وربما اجتهد فقرأ نحو خُمُس القرآن في ركعة واحدة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة (يقصد بالركعة: الصلاة، أي ظن أن النبي ﷺ يصلي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (١١٤٧)، وكتاب: التراويح، باب: فضل من قام رمضان (٢٠١٣)، وكتاب: المناقب، باب: كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه (٣٥٦٩)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل (١٢٥/٧٣٨ :١٢٨)، **ومالك** في كتاب: صلاة الليل، باب: صلاة النبي ﷺ في الوتر (١٠) .

بها الركعتين) فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذَ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم** » فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: « **سبحان ربي الأعلى** » فكان سجوده قريبا من قيامه[1] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ ليلةً فلم يزل قائماً حتى هممتُ بأمر سوء. قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذَرَ النبي ﷺ [2].

وكان ركوعه وسجوده طويلا كذلك، بل ذكر حذيفة أنه ركع قريبا من قراءة البقرة والنساء وآل عمران .

أما عائشة رضي الله عنها فتبيِّن قدر ركوعه وسجوده ﷺ

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٢٠٣/٧٧٢) .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: طول القيام في صلاة الليل (١١٣٥) **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٢٠٤/٧٧٣) .

فتقول: إن رسول اللهﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة، كانت تلك صلاتَه - تعني بالليل - فيسجد السجدةَ من ذلك قدْرَ ما يقرأ أحدُكم خمسين آيةً قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للصلاة [(١)] .

وكان من اجتهاده ﷺ في صلاة الليل: أنه قبل موته وفي آخر عمره ربما ثقل عليه القيام، فكان يقرأ بعض القرآن جالساً، وبعضه قائما.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبيﷺ يقرأ في شيء من صلاة الليل جالساً، حتى إذا كَبرَ قرأ جالساً، فإذا بقي عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهنَّ ثم ركع[(٢)].

فهذا كله واضح في اجتهاد النبي ﷺ البالغ في تطويل صلاة الليل في القراءة والركوع والسجود، ولهذا دعا العلماء

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الوتر، باب: ما جاء في الوتر (٩٩٤)، وكتاب: التهجد، باب: طول السجود في قيام الليل (١١٢٣) .
(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: قيام النبي ﷺ بالليل في رمضان وغيره (١١٤٨) .

إلى تطويل القيام أكثر من المكتوبة .

لكن أنبه إخواني الكرام إلى أمر مهم، وهو الرفق بالناس في توجيههم إلى العمل بالسنة، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وليس من الحكمة مطلقا أن نعمل على نقل الناس فجأة ومرة واحدة من واقع عاشوه وألفوه وارتاحوا له إلى ما ينبغي أن يكون عليه حالهم، فإن هذا يسبب كثيراً من المشكلات، ويوقع في كثيرٍ من الأخطاء.

فإذا كانَ الناس يصلون عشرين ركعة بإحدى قصار السور، فليس من الحكمة أن تنقلهم مرة واحدة إلى قراءة جزء كاملٍ في الليلة، بل لا بد من التدرج بالناس والتطويل شيئاً فشيئاً، مع التعريف والتوعية والتوجيه اللين اللطيف، حتى يأنسوا للسنة ويحبوها ويقبلوا عليها. والله أعلم.

حكم القراءة في المصحف في قيام رمضان:

قد يصعب على بعض الأئمة أن يقرؤوا هذه القراءة الطويلة في رمضان ويخشى كثرة الخطأ واللحن، فهل له أن يؤم الناس وهو يقرأ في المصحف؟

اختلف العلماء في القراءة من المصحف في قيام رمضان على قولين:

القول الأول: كراهة القراءة من المصحف في الصلاة، وحجتهم أن في ذلك تشبهاً بأهل الكتاب، فعن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يؤم الرجل وهو يقرأ في المصحف؛ كراهة أن يتشبهوا بأهل الكتاب[1].

وعن الحسن أنه كرهه، وقال: هكذا تفعل النصارى.

وعن سعيد بن المسيب قال: إذا كان معه من يقرأ رددوه و لم يؤم في المصحف[2].

ورويت الكراهة عن مجاهد وسليمان بن حنظلة البكري وحماد وقتادة والشعبي ومحمد وأبي يوسف صاحبي أبي حنيفة[3].

وقال أبو حنيفة: إن صلاته فاسدة. وتعقبه محمد بن نصر

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٢٧)، وابن أبي شيبة (٧٢٢٦-٧٢٢٧).

(٢) أخرجهما ابن أبي شيبة (٧٢٢٩-٧٢٣٠).

(٣) انظر مصنف عبد الرزاق (٣٩٢٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٧٢٢٤-٧٢٣٢)، ومختصر قيام رمضان لمحمد بن نصر ص ٧٧.

المروزي بأنه لم يقل بذلك أحد قبل أبي حنيفة، وأنه لا وجه للقول بفساد الصلاة البتة؛ لأن قراءة القرآن هي من عمل الصلاة، ونظره إلى المصحف كنظره إلى سائر الأشياء التي ينظر إليها في صلاته.

القول الثاني: جواز القراءة من المصحف في قيام رمضان: فعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقرأ في المصحف وهي تصلي[1].

وعن أبي بكر بن أبي مليكة أن عائشة أعتقت غلاماً لها عن دُبُر (يعني يكون حرا بعد وفاتها)، فكان يؤمها في رمضان في المصحف[2].

وسئل ابن شهاب الزهري عن الرجل يؤم الناس في رمضان في المصحف، قال: ما زالوا يفعلون ذلك منذ كان الإسلام، كان خيارنا يقرؤون في المصاحف [3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٣٠) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٢١٧)، وأخرجه مالك في كتاب: الصلاة في رمضان، باب: ما جاء في قيام رمضان (٧) بسند صحيح، لكن لم يقل (في المصحف) .

(٣) مختصر قيام رمضان ص ٧٥ .

وروى مثل ذلك عن عائشة بنت طلحة، ورخص في ذلك الحسن البصري وابن سيرين وعطاء والحكم بن عتيبة وسعد بن إبراهيم الزهري وأحمد بن حنبل، وغيرهم[1]. **وهو الراجح** إن شاء الله .

لكن كلما كان حافظاً يقرأ من حفظه كان أفضل، فإذا احتاج إلى المصحف لينظر فيما يتردد فيه فلا بأس، فعن أيوب قال: كان ابنُ سيرين يصلي والمصحف إلى جنبه، فإذا تردد نظر فيه[2].

ويستحب له حينئذ أن يحمل المصحف أمامه على شيء يسهل له النظر فيه من غير حركة كثيرة، ولا بأس بتقليب الأوراق عند القراءة؛ لأنها حركة تقتضيها حاجة الصلاة، فإن تيسر مصحفٌ مطبوعٌ على هيئة أجزاء كاملة كل جزء في لوحة كبيرة توضع أمام الإمام وهو يقرأ فهو أفضل وأيسر، والله أعلم.

وكذلك لا بأس إن قرأ من حفظه، وأحدُ القراء يتابعه في

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، باب: في الرجل يؤم القوم وهو يقرأ في المصحف (٧٢١٥-٧٢٢٣)، ومختصر قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي ص٧٥-٧٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣٩٣١) .

المصحف ليردَّه إن أخطأ، أو يفتح عليه إن تعايا في آية، فعن ثابت بن أسلم البُنَاني قال: كان أنس ﷺ يصلي، وغلامُه يمسك المصحف خلفه، فإذا تعايا في آية فتح عليه(١).

أما ما يفعله بعض الناس من إمساك المصاحف خلف الإمام ومتابعته بالنظر فيها فأرى أنه لا داعي له، وربما عُد من المكروهات؛ لما فيه من كثرة الحركة باليدين وبالبصر، ومن ترك سنة قبض اليدين في الصلاة، ومن ترك النظر إلى موضع السجود ونحو ذلك، فالأحرى عدم فعله إلا لمن كان يفتح على الإمام أو يصحح له، والله أعلم .

القراءة من المصحف في صلاة الفريضة: قياساً على ما سبق فلا بأس بالقراءة من المصحف في صلاة الفريضة لمن صلى منفردا أو صلى إماما بالناس، وخصوصا إن كان لا يجيد الحفظ، أو يخشى من تفلت القرآن من صدره، أو لم يكن عنده من الحفاظ المصلين خلفه من يفتح عليه إذا تعايا، أو يصحح له إذا أخطأ، وأكثر ما سبق من آثار هو في عموم القراءة من المصحف في الصلاة، في رمضان وغيره وفي القيام وغيره؛ إذ المقتضى واحد. وقد سبق رد محمد بن نصر المروزي

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧٢٢٣) .

على من قال بفساد صلاة القارئ من المصحف بأن قراءة القرآن هي من عمل الصلاة، ونظره إلى المصحف كنظره إلى سائر الأشياء التي ينظر إليها في صلاته.

ولا يقولن قائل: إن ذلك من البدع؛ لكون النبي ﷺ وأصحابه ﷺ لم يفعلوه في الصلاة. فنحن لا نقول: إن القراءة في المصحف من السنن حتى يقال ذلك، ولكنا نقول: إذا دعت الضرورة لاستخدام المصحف للقراءة منه في الصلاة فلا بأس بذلك، ولا مانع منه شرعا، وبخاصة في هذا العصر الذي قل فيه الحفاظ وندر فيه المجوِّدون.

ومع هذا فالأولى بمن يتقدم لإمامة الناس أن يحفظ ما يقرأه قبل الدخول في الصلاة، وأن يقرأ مما يحفظه، ولا يتعجرف فيقرأ المتشابهات من الآيات فيعيا بها أو يخطئ فيها، بل عليه أن يقرأ ما تيسر من القرآن، ولو كرر السورة في صلوات متعددة، فذلك أقرب إلى التأثر والخشوع، وأبعد عن الحركة والانشغال، والله أعلم.

الوقفة الخامسة
مع القرآن في شهر القرآن

رمضان هو الشهر الذي نزل فيه القرآن:

نزل القرآن الكريم كما نعلم في أعظم ليالي شهر رمضان، بل في أعظم ليالي السنة كلها وهي ليلة القدر، قال تعالى **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾** (البقرة:١٨٥) وقال تعالى **﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** (القدر:١) وبسبب نزول القرآن في هذا الشهر عُظِّم الشهر وكُرِّم، وكان أفضل شهور العام. والمعلوم - كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما- أن القرآن نزل جملةً من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، وهذا معنى قوله تعالى **﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾** (الدخان:٢) وقوله تعالى**﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** ثم نزل به جبريل منجَّما مفرقا بحسب الحوادث بأمر الله له على مدى اثنتين وعشرين سنة ونصف السنة تقريبا، وهذا معنى قوله تعالى**﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾** (الإسراء:١٠٦) وكان ابن عباس رضي الله عنهما- كما روى البيهقي في الشعب - يقرأ أيضا

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ (الواقعة:٧٥) على اعتبار أن مواقع النجوم هي منازل القرآن الذي كان ينزل منجما مفرقا.

وليس القرآن وحده هو الذي أُنزل في هذا الشهر الطيب المبارك، بل نزلت سائر كتب الله إلى أنبيائه في هذا الشهر، فعن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضيْن من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان** »[1].

قال الحليمي رحمه الله: يريد به ليلة خمس وعشرين.

قال البيهقي في الأسماء والصفات: وإنما أراد والله أعلم نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا .

---

(١) أخرجه **أحمد**٤/١٠٧، **والطبري** في تفسيره ٢/١٤٥، **والطبراني** في الكبير (١٨٥) وفي الأوسط (٣٧٤٢)، **والبيهقي** في الكبرى ٩/١٨٨، وفي شعب الإيمان (٢٢٤٨)، وفي الأسماء والصفات ص٢٣٣-٢٣٤ . وفي أسانيدهم عمران القطان، مختلف فيه والغالب عليه الضعف، وقال الهيثمي في المجمع ١/١٩٧: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان وقال أحمد أرجو أن يكون صالح الحديث وبقية رجاله ثقات .

كان خلقه القرآن:

عن سعد بن هشام أنه دخل مع حكيم بن أفلح على عائشة رضي الله عنها، قال: فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول اللهﷺ ؟ قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي اللهﷺ كان القرآن[١].

وفي رواية قالت: «كان خُلُقُه القرآن، أما تقرأ﴿ **وإنك لعلى خُلُق عظيم**﴾ » [٢]. وسألها الحسن البصري ومسروق نفس السؤال، فأجابت بنفس الجواب [٣].

وسألها يزيد بن بَابَنُوس نفس السؤال فقالت: « كان خلقه القرآن، تقرؤون سورة المؤمنين » قالت: « اقرأ قد أفلح المؤمنون » قال يزيد: فقرأت﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ إلى ﴿**لفروجهم حافظون** ﴾ قالت: كان خلق رسول اللهﷺ [٤].

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب:صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل ومن نـام عنه أو مرض (١٣٩/٧٤٦)،وأبو **داود** في كتاب:الصلاة، باب:في صلاة الليل (١٣٤٢) .

(٢) أخرجه **الطبري** في التفسير ١٩/٢٩ .

(٣) **سؤال الحسن** أخرجه **أحمد** ٢١٦/٦، **وسؤال مسروق** أخرجه **ابن سـعد** في الطبقات ٢٧٣/١، **وإسحاق بن راهويه** في مسنده (١٤٧٧) .

(٤) أخرجه **البخاري** في الأدب المفرد (٣٠٨)، وصـحـحه **الحـاكم** (٣٤٨١)،

وسألها أبو الدرداء ﷺ نفس السؤال فقالت: « كان خلقه القرآن يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه »[(1)] .

وعن الحسن أن رهطاً من أصحاب النبيﷺ اجتمعوا فقالوا: لو أرسلنا إلى أمهات المؤمنين فسألناهن عما نَحَلوا عليه يعني النبي ﷺ من العمل، لعلنا أن نقتدي به. فأرسلوا إلى هذه ثم هذه، فجاء الرسول بأمر واحد: « إنكم تسألون عن خلق نبيكم ﷺ، وخلقه القرآن، ورسول الله ﷺ يبيت يصلي وينام، ويصوم ويفطر، ويأتي أهله »[(2)] .

قال السندي: « وكون خلقه القرآن: هو أنه كان متمسكاً بآدابه وأوامره ونواهيه ومحاسنه، ويوضحه أن جميع ما قصَّ الله تعالى في كتابه من مكارم الأخلاق مما قصه من نبيٍّ أو وليٍّ، أو حثَّ عليه أو ندَبَ إليه كانﷺ متخلّقاً به، وكل ما نهى الله تعالى عنه فيه ونزَّه كانﷺ لا يحوم حوله »[(3)].

وقال ابن رجب الحنبلي: « يعني أنه كان يتأدب بآدابه،

ووافقه الذهبي .

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٢)، وفي مسند الشاميين (١٢٠٢)، والبيهقي في الشعب (١٤٢٨) .

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/٢٧٣ .

(3) حاشية السندي على النسائي ٣/٢٠٠ .

ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه »[1].

وقال النووي: « معناه العملُ به، والوقوفُ عند حدوده والتأدُّبُ بآدابه، والاعتبارُ بأمثاله وقصصه، وتدبُّره وحسنُ تلاوته »[2].

وهكذا ترى من هذه الأخبار والنقول أن النبيﷺ كان صورةً عمليةً واضحةً لما جاء في القرآن من مبادئ وأخلاق، وكان أفضلَ نماذج البشر مجانسةً للقرآن الكريم، وأصلحها قاطبةً لتلقيه وتمثيله والتجاوب معه في السر والعلن، و**﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** (الأنعام: ١٢٤) وإن شئتَ فقل كما قال بعض العلماء: كانﷺ قرآناً يمشي بين الناس .

فإذا كان هذا حاله ﷺ مع القرآن في سائر أحواله، فما ظنك بحاله حين يلقاه جبريل ويعرض كلٌّ منهما على الآخر القرآن، ويكون ذلك في شهر رمضان ؟!

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسولُ اللهﷺ أَجْوَدَ

---

(١) جامع العلوم والحكم، شرح الحديث السادس عشر .

(٢) شرح النووي على مسلم ٦/٢٦ .

النَّاسِ، وَكانَ أَجْوَدُ ما يكونُ في رمضانَ حيَن يَلْقَاهُ جبريل، وَكانَ يَلْقَـاهُ في كلِّ ليلة من رمضانَ، فيُدَارِسُهُ القرآنَ، فلَرَسولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخيْرِ من الرِّيحِ المُرْسَلَة (١).

مدارسة النبي ﷺ وجبريل القرآن في رمضان :

يظهر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام كان يتعاهد النبي ﷺ في كل سنة، فيعارضه بما نزل عليه من القرآن من رمضان إلى رمضان، يعرض كلٌّ منهما على الآخر، كما هو مفهوم لفظ المدارسة. وجاء في بعض روايات الحديث أنه لما كان العام الذي توفي فيه عارضه به مرتين .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه،

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الإيمان، باب: حدثنا عبدان (٦)، وكتاب: الصوم باب: أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان (١٩٠٢)، وكتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٣٢٢٠)، وكتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ (٣٥٥٤) وكتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (٤٩٩٧)، **ومسلم** في كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٢٣٠٨/٥٠) .

وكان يعتكف في كل عام عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه »[1].

وإنما كان العرض مرتين في العام الأخير لأن القرآن كان قد اكتمل نزوله إلا قليلاً، وقد فهم النبي ﷺ من تكرار العرض أن ذلك علامة أجله، كما في حديث فاطمة عليها السلام قالت: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ: « **إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرةً، وإنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراه إلا حضر أجلي** » الحديث[2].

ويحتمل أن يكون السر في عرضه مرتين في آخر رمضان من حياته ﷺ: أن رمضان من السنة الأولى للبعثة لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان، ثم فتر الوحي، ثم تتابع، فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة مرتين؛ ليستوي عدد السنين والعرض[3].

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (٤٩٩٨).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٣٦٢٣) وكتاب: الاستئذان، باب: من ناجى بين يدي الناس (٦٢٨٥-٦٢٨٦).

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٩/٤٦.

وعلى حسب العرضة الأخيرة وصل إلينا القرآن متواتراً محفوظاً بحفظ الله عز وجل له﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (الحجر: ٩).

الحكمة في مدارسة القرآن في رمضان:

قيل: الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس والغنى سبب الجود .

وأيضا فرمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده .

وهكذا ينبغي أن يكون للقرآن أثر عملي في حياة التالين له، ولا يكون مجرد كلام يتلى.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: « ينبغي لحامل القرآن أن يُعْرَف بليله إذا الناسُ نائمون، وبنهاره (يعني بصيام نهاره) إذا الناسُ يفطَرون، وبحُزْنه إذا الناسُ يفرحون، وببكائه إذا الناسُ يضحكون، وبصَمْته إذا الناسُ يخلطون، وبخُشُوعه إذا الناسُ يَختالون، وينبغي لحاملِ القرآن أن يكونَ باكياً محزوناً حكيماً حليماً عليماً سكّيتاً، وينبغي لحاملِ القرآنِ أن لا يكونَ جافياً

ولا غافلاً ولا صخَّاباً ولا صيَّاحاً ولا حَدِيداً »[1]

واجبنا الاستكثارُ من القراءة في شهر رمضان:

ينبغي للمسلم أن يكثر من تعاهد القرآن في هذا الشهر الكريم، وذلك لأنه شهر القرآن، قال الله عز وجل﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ وقال تعالى﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾.

ولما كان الشهر الكريم شهرَ القرآن فقد اهتم الصحابةُ والسلفُ الصالـــحُ بإحيائه بتلاوة كتاب الله تعالى، واجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد، وهاك بعض ما أُثر عنهم في ذلك:

فهذا عبد الله بن مسعودﷺ « كان يقرأ القرآن من الجمعة إلى الجمعة وفي رمضان يختمه في كل ثلاث ».

وهذا منصور بن زاذان يقول حفيده: « كان جدي منصور بن زاذان يختم القرآن في شهر رمضان عشرين وما يسره. قال: وكان لا يسمع منه إلا في وقت لا يصلي فيه» .

وهذا سعد بن إبراهيم الزهري يقول ابنه يعقوب: « كان أبي سعد بن إبراهيم إذا كان ليلة إحدى وعشرين وثلاث

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/١٣٠

وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن، وكان يختم فيما بين المغرب والعشاء الآخرة ». قال يعقوب: كانوا يؤخرون العشاء الآخرة في رمضان تأخيراً شديداً.

أما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان اجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة، ويقول: عند كل ختمة دعوة مستجابة(١).

كيف نقرأ القرآن في شهر القرآن :

القرآن روح: إن القرآن الكريم ليس كلاماً عادياً، وإن كان مؤلفاً من جنس الحروف التي يتكلم بها العرب، إنما هو روح من الله عز وجل، تحيا به الأرواح والقلوب، كما قال الله عز وجل﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت**

(١) أخرج هذه الآثار **البيهقي** في الشعب (٢٢٥١: ٢٢٥٤) .

تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (الشورى :٥٢) .

وحين أقول: إن القرآن روح فأنا أقصد حقيقة اللفظ، ولكي نتبين ذلك لا بد من إدراك أن الله تعالى خلق الإنسان من جسد وروح، وجعل غذاء كل منهما من جنسه، فإذا كان الجسد قد خُلق من الطين، فإن غذاءه ونماءه لا يتم إلا بتناول ما تخرج الأرض، مثله في ذلك مثل سائر الأنعام، فقد عدد الله النعم التي تخرجها الأرض ثم قال :**﴿ متاعا لكم ولأنعامكم ﴾**(النازعات:٣٣، عبس: ٣٢) وقال عز وجل**﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى. كلوا وارعوا أنعامكم ﴾** (طه:٥٣-٥٤) .

ولهذا وصف الله عز وجل الذين يعيشون للتمتع والأكل بأنهم كالأنعام، فقال سبحانه**﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾** (محمد: ١٢).

وأما عنصر الروح، فقد قال الله عز وجل**﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾** (الإسراء:٨٥)، وما دامت الروح من أمر الله فلا يشبعها ولا ينميها إلا غذاء من أمر الله

أيضا، ومن ثم أنزل الله القرآن، ووصفه بأنه من أمره، فقال سبحانه **﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾** (الشورى: ٥٢). وإذا كان تكريم الإنسان وإسجاد الملائكة له متعلقاً بنفخ الله فيه من روحه، على حد قوله تعالى **﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾** (الحجر:٢٩)؛ فإن راحته وسعادته لن تحصل إلا حين تأخذ روحُه من روح القرآن سرَّ حياتها، ومادةَ بقائها .

ومن ثَم وصف الله من اهتدى بعد الضلالة بأنه أُحيي بعد موت، فقال سبحانه **﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾** (الأنعام:١٢٢)، وعدَّ الحق جل وعلا الاستجابة لله ولرسوله علامة الحياة الحقيقية، فقال سبحانه **﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** (الأنفال: ٢٤).

روى أبو سعيد بن الــمُعَلَّى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجبْه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. فقال: « **ألم يَقل الله﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾**؟ » (الأنفال:٢٤)، ثم قال لي: «**لأعلمنك سورةً هي أعظمُ السور في القرآن قبل أن تخرج**

من المسجد » ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «**﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** »(١).

فالقرآن حياة للقلوب والأرواح والملكات، به تنمو وتقوى وتسمع وتبصر .

وحتى تحقق أخي الصائم الكريم هذه الروح، وتبثها في حنايا صدرك وطيات ضلوعك لتحقق هذا الأثر الكريم؛ فإني أوصي نفسي وإياك بما يلي:

١ - **التزام آداب التلاوة**: من الطهارة، واستحضار النية، وإحسان الصوت، ومراعاة أحكام الترتيل، واستحضار النية الصادقة، واستشعار أنك تؤدي بالتلاوة عبادة من أرفع العبادات وأعظم الأعمال، والتدبر الكامل لما تقرأه، فقد قال

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب (٤٤٧٤)، وفي تفسير الأنفال، باب: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول (٤٦٤٧)، وفي تفسير الحجر، باب: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٤٧٠٣)، وفي كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب (٥٠٠٦) .

الله تعالى **﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾** (ص:٢٩). ولا بأس أيها الأخ الكريم أن تجعل بجوارك أحد التفاسير الميسرة، حتى تراجع ما يُشكل عليك فهم معناه بسهولة ويسر.

وما أحسن أن تكون القراءة في هدأة وخلوة، ولا سيما خلوات الليل، حيث يشف القلب وتنكشف أغطية النفس. وأكرم بقراءة متدبرة بصوت حسن مع حزن، من غير تطريب أو قراءة بلحون أهل الفسق، فقد قال سعد بن أبي وقاص لعبد الرحمن بن السائب: بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فَتَبَاكَوْا** »[1].

ومن تمام التدبر: أن يسأل الله الرحمة إذا مر بآية رحمة، ويتعوذ بالله من العذاب إن مر بآية فيها عذاب دنيوي مما حل بالسابقين، أو أخروي مما ينتظر الظالمين، ففي حديث حذيفة في صلاته مع النبي ﷺ بالليل أنه ﷺ كان « يقرأ مترسلاً، إذا

---

(١) أخرجه **ابن ماجه** في كتاب: إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن (١٣٣٧)، **وأبو يعلى** (٦٨٩)، **والبيهقي** في السنن الكبرى ١٠/٢٣١، وفي شعب الإيمان (٢٠٥١) و (٢١٤٧)، وفي إسناده ضعف.

مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذٍ تعوَّذ » (١).

٢ – **إزالة الحجب المانعة من الفهم والتأثر**: إن القرآن الكريم حبلٌ ممدودٌ بين السماء والأرض، طرفُه بيد الله، والطرفُ الآخر بيد العباد، فإذا أحسن العباد أخذَه سرتْ تياراتُه الإيمانية سريان الكهرباء، فأحدثت الأثر المنشود، على حد قول الله تعالى﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد**﴾ (الزمر:٢٣).

وليست الجلود والقلوب الآدمية وحدها هي التي تتأثر، بل إن سائر المخلوقات تتأثر بكلام الله تبارك وتعالى﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** ﴾ (الحشر:٢١).

قال البراء بن عازب ﷺ: قرأ رجلٌ الكهفَ وفي الدار الدابةُ، فجعلت تَنْفِر، فإذا ضبابةٌ – أو سحابةٌ – غشيتْه،

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٧٧٢/٢٠٣) .

فذكره للنبي ﷺ، فقال: « **اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن** »[1].

وعن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسُه مربوطٌ عنده إذْ جالت الفرس (أي دارت وتحركت) فسكتَ فسكَتَتْ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف (يعني عن القراءة إلى ولده) وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتره (أي جر ولده من المكان الذي كان فيه قريبا من الفرس) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ، فقال: «**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير** » قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثلُ الظُّلَّة فيها أمثالُ المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: « **وتدري ما ذاك؟** » قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دنت**

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (٢٦١٤) وكتاب: التفسير، سورة الفتح، باب: هو الذي أنزل السكينة (٤٨٣٩)، وكتاب: فضائل القرآن، باب: فضل الكهف (٥٠١١)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن (٧٩٥/٢٤٠-٢٤١).

لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم » [1].

فإذا كانت الفرس تتأثر، والسكينة تنزل، والملائكة تتنزل، أفلا تقشعر الجلود ثم تلين مع القلوب لذكر الله؟ .

وحتى تحصل هذه الحركة للقلوب والجلود فلا بد من إزالة الموانع المتمثلة في الأهواء والشهوات والشبهات والذنوب التي تحجب القلب عن الرب، قال تعالى﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ (المطففين:١٤-١٥). بل إن الحق جل وعلا ليحجب عن أنوار كلامه أهلَ الضلال المكذبين بيوم الدين، الذين يستمعون للقرآن وهم مشغولون بالتناجي فيما بينهم غير متدبرين لآيات الله، قال عز وجل﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا. وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا. نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ**

---

(١) علقه **البخاري** في كتاب: فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن (٥٠١٨)، وأخرجه **مسلم** في الموضع السابق (٢٤٢/٧٩٦) .

يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا﴾ (الإسراء: ٤٥: ٤٧).

بل إن الظالمين لأنفسهم المتكبرين على الحق ليعلنون ذلك بألسنة الكفر﴿ **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب**﴾ (فصلت:٥).

ولتعلم أيها الأخ الكريم أن من حجب نفسه اليوم عن أنوار القرآن وفيوضاته، وأصر على متابعة هواه وشيطانه، فإنه محجوبٌ غداً عن مشاهدة أنوار الحق ولذيذ مناجاته لأوليائه. فجرِّد قلبك أيها الأخ الكريم عند القراءة من سائر الأهواء والشهوات، واقمع شيطانك قبل القراءة بالعزم الصادق والتوبة النصوح، وعندئذ تدرك وتحس، وتحب وتكره، وتبكي وتخشع وأنت في روضات القرآن.

٣ - استحضار عبوديتك لله: فإن الإحساس الصادق بالعبودية يجعل العبد مُصْغياً لكلام معبوده وخالقه، محسناً للاستماع إليه، لا بأذنه فقطَ، بل بأذنه وقلبه ووعيه كله، كما يملأ القلب عزما على تنفيذ الأمر واجتناب النهي، مهما كان في ذلك من المشقات، وتلك غاية الغايات من التعامل مع القرآن: أن يصير القرآنُ منهاجَ حياتك تتعبد الله بتحويل

كلماته من مجرد كلام يُتْلَى إلى واقعٍ حيٍّ مؤثر، يكون العبدُ به عبداً قرآنيا، كما كان نبيُّ الله ﷺ حيث كان خُلقه القرآن على الوجه الذي سبق بيانه.

وهنا أنصح لنفسي ولك أيها الأخ الكريم بما أوصى به أحد مشايخنا رحمه الله أحد تلاميذه ومحبيه، بأن يحضر عند قراءة القرآن قلما وأوراقاً، فإذا مرَّ بآية فيها أمرٌ دونها في صفحة بعنوان (الأوامر)، ثم إذا مر بآية فيها نهي دونها في صفحة (النواهي)، ثم إذا مر بآية فيها صفة من صفات أهل الإيمان دونها في صفحة صفات المؤمنين، وهكذا صفحة لصفات الكافرين، وصفحة لصفات المنافقين، وصفحة لصفات أهل الجنة وأسباب استحقاقهم لها، وسابعة لصفات أهل النار وأسباب ورودها، وثامنة لما أوصى الله به عباده، وتاسعة لما أدب الله به أهل محبته، وعاشرة لأسباب مقته وغضبه، وهكذا. فإذا انتهى من قراءته راجع حاله على ضوء ما قرأ؛ ليعلم أين هو من القرآن؟ كم طبق من الأوامر وكم حقق من صفات أهل التقوى وأصحاب الجنة وأهل الأدب الرباني العالي، وكم ترك من المنهيات وتخلص من سيئ الصفات وأسباب المقت والطرد من رحمة الله؟ وعندئذ يتدارك أمره، فيزيد من الاجتهاد في الطاعات، ويعزم على التخلص مما

بقي من مرذول الطباع والعادات.

وذلك ما فعله العابد الزاهد مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله، حيث قال: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة **﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾** (الذاريات:١٧)**﴿يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾**(الفرقان:٦٤) **﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما﴾**(الزمر:٩) فلا أراني فيهم، فأعرض نفسي على هذه الآية**﴿ما سلككم في سقر﴾**(المدثر:٤٢)فأرى القوم مكذبين، وأمرُّ بهذه الآية **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا﴾** (التوبة:١٠٢) فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم(١).

وقال الحسن: لما نزلت **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾** (الزلزلة:٧-٨) قال رجل من المسلمين: حسبي إن عملت مثقال ذرة من خير أو شر رأيتُه (٢).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/١٩٨ .

(٢) مرسل أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٢)

وهذا الرجل هو صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس فقد روى الحسن عنه قال: قدمت على النبيﷺ، فسمعته يقرأ هذه الآية ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ فقلت: والله لا أبالي أن لا أسمع غيرها. حسبي حسبي [1].

فما رأيك أيها الصائم الكريم أن نبدأ بتطبيق هذا المنهج الحكيم في التعامل مع القرآن، مع شهر الصيام والقيام؟ .

٤ – وأخرى أبشر نفسي وإياك بها: وهي أننا إذ نقرأ القرآن بهذه الروح فنحن في مقام المناجاة لله عز وجل، وما أرفعه من مقام، إذ القرآن لفظه الطاهر الكريم منه خرج، وبتلاوته يُتَقَرَّب إليه، حتى إنه جل وعلا ليأذن (أي يستمع) للحسن الصوت وهو يتلو القرآن ما لا يأذن لغيره. فعن أبي هريرة ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: « **لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت أن يتغنى بالقرآن، يجهر به** » [2].

---

(١) أخرجه **الطبراني** في الكبير (٧٤١١) بسند صحيح، وأخرجه **أحمد**٥/٥٩ بسند صحيح لكن قال: صعصعة بن معاوية عم الفرزدق .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضائل القرآن، باب: من لم يتغن بالقرآن

وفي معنى (**يتغنى به**) نقل ابن حجر عن ابن الجوزي قال: « اختلفوا في معنى قوله يتغنى على أربعة أقوال: **أحدها**: تحسين الصوت، **والثاني**: الاستغناء، **والثالث**: التحزن، قاله الشافعي، **والرابع**: التشاغل به، تقول العرب: تغني بالمكان: أقام به ».

قال ابن حجر: « قلت: **وفيه قول آخر** حكاه ابن الأنباري في (الزاهر) قال: المراد التلذذ والاستحلاء له، كما يستلذُّ أهلُ الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنياً، من حيث إنه يُفعَل عنده ما يُفعَل عند الغناء ».

ثم قال: « **وفيه قول آخر حسن**، وهو أن يجعله هجِّيرَاه (أي دأبه وشأنه الذي لا يستغني عنه) كما يجعلَ المسافر والفارغ هِجِّيرَاه الغناء. قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا

(٥٠٢٣- -٥٠٢٤)، وكتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى**﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ..وهو العلي الكبير ﴾** (٧٤٨٢)، وباب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة (٧٥٤٤)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن (٧٩٢/٢٣٢-٢٣٤) .

وقوله (**يجهر به**) إدراج، وهو تفسير للتغني نقله الزهري عن صاحب لأبي سلمة، وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

ركبت الإبل تتغنى، وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها فلما نزل القرآنُ أحب النبيُّ ﷺ أن يكون هِجِّيرَاهم القراءةَ مكان التغني

فيكون معنى الحديث: الحث على ملازمة القرآن، وأن لا يتعدى إلى غيره، وهو يئول من حيث المعنى إلى ما اختاره البخاري من تخصيص الاستغناء، وأنه يستغني به عن غيره من الكتب.

وقيل: المراد من لم يُغْنِه القرآن وينفعه في إيمانه ويصدق بما فيه من وعد ووعيد.

وقيل: معناه من لم يرتح لقراءته وسماعه ...

وقد روى ابن أبي داود بإسناد حسن عن أبي هريرة أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثي .وأخرجه أبو عوانة عن الليث بن سعد قال: يتغنى به: يتحزن به ويرقق به قلبه » ثم أطال في بيان تهافت القول بأن (تغنى) من الاستغناء[1].

ذلك أيها الأخ الكريم بعض ما يصلك بروح القرآن وأنت في شهر القرآن فإذا اتصلت نَمَت الحياة في نفسك، واهتز قلبك وترعرع، وأنبت من كل زوج بهيج، وكان مالك

(١) فتح الباري ٩/٧٠ .

بن دينار يقول: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب (١).

وفي لفظ آخر زاد: وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتزَّ وتخضرَّ وتحسن. فيا حملةَ القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟ (٢).

نماذج من أحوال السلف عند السماع والقراءة:

أختم هذه الوقفة بذكر بعض النماذج من أحوال السلف الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم تلاوة وسماعاً؛ لأحفز همتي وهمتك أيها الأخ الكريم للاحتذاء بهم والنسج على منوالهم، فإن التشبه بالكرام فلاح.

وقد سئلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: كيف

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/٣٥٨ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/٢٧٣-٢٧٤ . واقرأ أيها الأخ الكريم حديث الأستاذ البهي الخولي رحمه الله عن القرآن كأول مصدر من مصـــادر وموارد الداعية، في كتابه الماتع (تذكرة الدعاة) .

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، كما نعتهم الله [1].

وكان سعيد الجرمي يقول في وصف الخائفين: إذا مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فَرَقاً، كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم [2].

أبو بكر ﷺ لا يملك عينيه عند قراءة القرآن:

كان أبو بكر الصديق ﷺ صاحب قلب حيٍّ، إذا قرأ القرآن انهمرت عيناه بالبكاء من شدة تأثره، مع طلاوة صوت وصدق لهجة تجعل السامع لا يملك نفسه عن المتابعة والسماع، ففيٍّ حديث عائشة رضي الله عنها في قصة هجرته ﷺ إلى الحبشة، ورجوعه إلى مكة بعد جوار ابن الدُّغُنة له، اشترطت قريش لقبول جوار ابن الدغنة أن لا يستعلن أبو بكر بقراءته خشية أن يفتن نساءهم وأبناهم، قالت عائشة: ثم بدا لأبي بكر ﷺ (يعني ظهر له أن يرد هذا الجوار المشروط وأن يقرأ مستعلنا) فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/٣٦٥ (٢٠٦٢) .

(٢) التخويف من النار لابن رجب ص ٣٤ .

ويقرأ القرآن، فيتقذّف[1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكرﷺ رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين.الحديث في رده الجوار وهجرتهﷺإلى المدينة[2].

عمر بن الخطابﷺ يبكي عند القرآن :

كان الفاروق ﷺ من أشد الناس تأثراً بالقرآن، وكانت أقطار روحه مفتوحة على هذا الكتاب الكريم، تنزل الآية على قلبه نزول الغيث على الأرض الطيبة التي تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، فعن الحسن رحمه الله قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يمر بالآية في وِرْده فتخيفه، فيبكي حتى يسقط، ويلزم بيته اليوم واليومين، حتى يعاد ويحسبونه مريضا.

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: سمعت نشيج عمر ابن الخطاب ﷺ وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، يقرأ من سورة يوسف، يقول: إنما أشك بثي وحزني إلى الله.

وعن علقمة بن وقاص الليثي قال: صليت خلف عمر بن

---

(١) في رواية (يتقصف)، ومعناها يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم بعضا .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٥) .

الخطاب ﷺ عشاء الآخر، فقرأ بسورة يوسف، فلما أتى على ذكر يوسف نشج عمر حتى سمعت نشيجه، وإني لفي آخر الصف .

وعن أبي معمر أن عمر ﷺ قرأ سورة مريم فسجد (يعني عند قوله تعالى **﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ﴾**) ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء ؟!(١) .

وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلا يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور، فلما بلغ إلى قوله تعالى **﴿ إن عذاب ربك لواقع. ماله من دافع ﴾** (الطور:٧- ٨) قال عمر: قسمٌ وربِّ الكعبة حقٌّ. ثم رجع إلى منزله فمرض شهرا يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه (٢).

عبد الله بن عمر ﷺ يتأوه عند قراءة القرآن :

قال سليمان بن سحيم: أخبرني من رأى ابن عمر ﷺ يصلي وهو يترجح ويتمايل ويتأوه، حتى لو رآه غيرنا ممن يجهله لقال: لقد أصيب الرجل، وذلك لذكر النار، إذ مر بقوله تعالى **﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين﴾** (الفرقان:

(١) أخرجها جميعاً البيهقي في الشعب (٢٠٥٦-٢٠٥٩) .

(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص ٣٠ .

٣١) أو نحو ذلك [١].

ابن عباس ﷺ يبكي عند قراءة القرآن:

أما ترجمان القرآن البحر ابن عباس ﷺ فكان له مع القرآن أحوال خاصة، فعن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، ويرتل القرآن يقرأ حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب، ويقرأ ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ (ق: ١٩) [٢].

أعرابي يسمع القرآن من النبي ﷺ فيتأوه:

عن زيد بن أسلم رحمه الله أن النبي ﷺ قرأ ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ (الزلزلة:٧-٨) فقام رجل، فوضع يده على رأسه يقول: ياسوأتاه ! فقال ﷺ: « **أما الوجل فقد آمن** » [٣].

---

(١) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص ٢١ .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٢/٣٦٥ (٢٠٦١) .

(٣) هذا حديث مرسل، أخرجه ابن بشكوال في الأسماء المبهمة (١٥٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور٦/٣٨١ إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد

ثابت بن أسلم البُناني ينتحب عند قراءة القرآن :

عن حماد قال: كان ثابت يقرأ بتلك الآية **﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾** (الكهف:٣٧) وهو يصلي صلاة الليل، ينتحب، يرددها [١].

عمر بن عبد العزيز يغلبه البكاء عند سماع القرآن :

قال ابن أبي ذئب: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة وقرأ عنده رجل **﴿ إذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾** (الفرقان:٣١) فبكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نشيجُه، فقام عن مجلسه، ودخل بيته، وتفرق الناس [٢].

عبد الله بن حنظلة يبكي عند سماع القرآن :

روى ابن أبي الدنيا من حديث عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام قال: سمعت عبد الله بن حنظلة يوماً وهو على فراشه وعُدْتُه من علَّته (يعني كان يزوره في مرضه)، فتلا رجل عنده هذه الآية **﴿ لَهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾**

---

(١) أخرجه **البيهقي** في الشعب (٢٠٦٣) .

(٢) التخويف من النار لابن رجب ص٢٣ .

(الأعراف:١٤) فبكى حتى ظننت أن نفسه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباق النار. ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبد الرحمن، اقعد. قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم، ولا أدري لعلي أحدهم [١].

علي بن الفضيل بن عياض يغشى عليه من شدة التاثر بالقرآن:

عن بشر بن الحكم النيسابوري قال: كانت امرأة الفضيل تقول: لا تقرؤوا عند ابني بالقرآن. قال بشر: وكان إذا قُرِىء عنده القرآنُ غُشيَ عليه قال بشر: وكان ابن الفضيل لا يقدر على قراءة القرآن، فقال لأبيه: يا أبه، ادع الله لعلي أستطيع أن أختم القرآن مرة واحدة [٢].

وروي أن علي بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية **﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾** (الأنعام:٢٧) [٣].

وعن إسماعيل الطوسي قال: بينما نحن نصلي ذات يوم

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار ص ٢٢ .
(٢) البيهقي في الشعب (٢٠٦٤) .
(٣) التخويف من النار لابن رجب ص ٣٢ .

الغداةَ (يعني الفجر) خلف الإمام ومعنا علي بن فضيل، فقرأ الإمام **﴿فيهن قاصرات الطرف﴾** (الرحمن:٥٦) فلما سلم الإمام قلت: يا علي، أما سمعت ما قرأ الإمام؟ قال: ما هو؟ قلت: **﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ و﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾** (الرحمن:٧٢) قال: شغلني ما كان قبلها **﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾**(الرحمن:٣٥) [١].

داود بن نصير الطائي يمرض ثم يموت بعد أن مرَّ بآية فيها ذكر النار:

قال حفص بن عمر الجعفي: اشتكى داود الطائي أياماً وكان سبب علته أنه مرَّ بآية فيها ذكر النار، فكررها مراراً في ليلته، فأصبح مريضا فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة[٢].

شاب يسمع آية من كتاب الله فيها ذكر النار فيخر ميتا :

قال منصور بن عمار: حججت حجةً فترلت سكة من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٢٩٧-٢٩٨ . وانظر قصصا أخرى من تأثر علي هذا بالقرآن في الحلية، وفي سير أعلام النبلاء ٨/٤٤٢ وما بعدها .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية٧/٣٤٠ وذكره ابن رجب في التخويف من النار ص٣١ .

سكك الكوفة، فخرجت في ليلة مظلمة طَخْيَا مُسْحَنْككَة (أي شديدة السواد والإظلام) فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل وهو يقول: إلهي، وعزتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتَك، وقد عصيتُك إذ عصيتُك وما أنا بنَكَالك جاهلٌ، ولكنْ خطيئةٌ عرضتْ وأعانني عليها شقائي، وغَرَّني سترُك المرخَى عليَّ، وقد عصيتُك بجهدي، وخالفتك بجهلي، فالآن من عذابك مَنْ يستنقذني؟ وبحبل مَنْ أتصل إن أنت قطعتَ حبلَك، واشباباه واشباباه !

قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله تعالى ﴿ **نارا وقودها الناس والحجارة** ﴾ الآية (التحريم: ٦) فسمعت دكدكةً لم أسمع بعدها حساً، فمضيتُ، فلما كان من الغد رجعتُ في مَدْرَجَتي (أي طريقي) فإذا أنا بجنازة قد أُخرجت وإذا أنا بعجوز قد ذهب متنها - يعني قوتها - فسألتُها عن أمر الميت و لم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه إلا جزاءَه، مرَّ بابني البارحةَ وهو قائمٌ يصلي، فتلا آيةً من كتاب الله تعالى، فتفطَّرتْ مرارتُه، فوقع ميتا. رحمه الله تعالى [(١)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٢٨/٩، و ١٠/١٨٨ .

الأصمعي يقرأ القرآن على أعرابي:

قال عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي: أقبلت ذات يوم من مسجد الجامع بالبصرة، وبينما أنا في بعض سككها إذ أقبل أعرابي جلْفٌ جافٌّ على قَعُود له متقلداً سيفَه، وبيده قوسٌ، فدنا وسلَم وقال: ممن الرجل ؟ فقلت: من بني الأصمع. فقال لي: أنت الأصمعي ؟ قلت: نعم. قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضعٍ يُتْلَى كلامُ الرحمن فيه. قال: أو للرحمن كلامٌ يتلوه الآدميون ؟ فقلت: نعم يا أعرابي: فقال: اتْلُ عليَّ شيئاً منه. فقلت: انزل من قَعُودك. فنزل وابتدأت بسورة الذاريات ذروا، حتى انتهيت إلى قوله تعالى﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ (الذاريات:٢٢) قال الأعرابي: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن ؟ قلت: إي والذي بعث محمداً ﷺ بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمدﷺ. فقال لي: حسبك. فقام إلى ناقته فنحرها بسيفه وقطعها بجلدها، وقال: أعنِّي على تفرقتها. فوزعناها على مَن أقبل وأدبر، ثم كسر سيفَه وقوسه وجعلها تحت الرملة، وولى مدبراً نحو البادية، وهو يقول ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ يرددها، فلما تغيَّب عني في حيطان البصرة أقبلتُ على نفسي ألومُها، وقلت: يا أصمعيُّ

قرأتَ القرآن منذ ثلاثين سنة، ومررتَ بهذه وأمثالها وأشباهها فلم تتنبه لما تنبه له هذا الأعرابي، و لم يعلم أن للرحمن كلاماً؟.

فلما قضى الله من أمري ما أحبَّ حججتُ مع هارون الرشيد أمير المؤمنين، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا أنا بهاتف يهتف بصوت رقيق: تعال يا أصمعي، تعال يا أصمعي. قال: فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي منهوكاً مُصْفَارّاً، فجاء وسلّم عليَّ، وأخذ بيدي وأجلسني وراء المقام، فقال: اتلُ من كلام الرحمن ذلك الذي تتلوه. فابتدأت ثانيا بسورة الذاريات، فلما انتهيتُ إلى قوله**﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾** صاح الأعرابي وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا. ثم قال: يا أصمعي، وهل غير هذا للرحمن كلام ؟ قلت: نعم يا أعرابي، يقول الله عز وجل **﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾** (الذاريات:٢٣) فصاح الأعرابي عندها وقال: يا سبحان الله، من ذا أغضب الجليل حتى حلف، فلم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين ؟ قالها ثلاثا، وخرجت نفسه [(١)]

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٣٧). وذكره القرطبي في التفسير ٤٢/١٧، والمناوي -مختصرا - في فيض القدير ٢٢٩/٤. وانظر قصصا من

كافر يسمع القرآن من النبي ﷺ فيتأثر به :

لا يقف تأثير القرآن في نفوس سامعيه عند حد المؤمنين به فقط، بل إن من سمع القرآن بقلب متجرد خال من العناد والتصلب فإنه لا بد أن يتأثر به، وهذا جبير بن مطعم بن عدي رضي الله عنه يحكي لنا متى بدأ يحس قلبه بالقرآن، فيقول: قدمت المدينة على عهد رسول الله ﷺ؛ لأكلمه في أسارى بدر فانتهيت إليه وهو يصلي بأصحابه صلاةَ المغرب، فسمعته يقرأ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع** ﴾ (الطور:٧) فكأنما صدع قلبي، فلما فرغ كلَّمته فيهم، فقال: « **شيخ لو كان أتاني لشفعته**» يعني أباه مطعم بن عدى [١].

وهكذا ترى أخي الكريم كيف كان أثّر القرآن الكريم في السلف الصالح، فكانوا كما قال الحسن البصري: قد براهم الخوف، فهم أمثال القدَاح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بهم مرض، ويقولَ: قد خولطوا، وقد خالط القوم من

هذا الباب في= =حلية الأولياء لأبي نعيم، والتخويف من النار لابن رجب، وكتب الزهد المختلفة

(١) أخرجه **الطحاوي** في شرح معاني الآثار ٢١٢/١، **والطبراني** في المعجم الصغير (١١٤١) والكبير (١٤٩٩، ١٥٠٢) .

ذكر الآخرة أمر عظيم .

تنبيه مهم:

لست أقصد بإيراد هذه القصص أيها الأخ الكريم أن أدعوك إلى ما يسمى بالدروشة، أو إلى ترك الدنيا والقعود عن تحصيل أسبابها، أو إلى إهمال نفسك وأهلك وأعمالك، أو إلى الانعزال عن الناس وترك مخالطة المجتمعات. كلا كلا؛ إنما قصدتُ أن أضع بين يديك صوراً من تأثر السلف الصالح بالقرآن؛ لنتعلم منهم ونتشبه بهم، ونتكلف طريقتهم حتى تصير طريقة لنا.

وأقول لك الآن: إن هؤلاء الذين براهم الخوفُ، وأكل قلوبَهم الإشفاق وأبكى عيونَهم القرآن، كانوا إذا جدَّ الجد ووقعت الكريهة (أي الحرب) ودعا داعي الحق إلى الجهاد بالمال أو النفس أو اللسان؛ كانوا أسبقَ الناس إلى الميدان، وأصدقَ الناس في التضحية والبذل، وأحزمَ الناس في إنفاذ الحق وإزهاق الباطل، فأبو بكر الذي رأيته رجلا بكاءً لا يملك عينيه عند قراءة القرآن هو ذلك الرجل الذي أصرَّ على محاربة المرتدين حين تراجع غيره حتى لو انفردت سالفته، وعمر بن الخطاب الذي مرض من سماع الآية هو الفاروق الذي يترك

الشيطان طريقه ويسلك طريقا آخر، وهو الإمام العادل الذي سارت بعدله الركبان، وابن عمر وابن عباس اللذان يبكيان ويتأوهان عند سماع القرآن هما عالما الأمة ومرجعا الفتوى في الناس زمناً غير يسير، وعمر بن عبد العزيز الباكي الأواه عند سماع القرآن هو الإمام العادل الحازم الذي أصلح الله به ما اعوجَّ من أمر الأمة .

وهكذا تجد أن التفاعل الصحيح مع القرآن ينتج شخصية متوازنة في كل تصوراتها وسلوكياتها، فترى المسلم الحق راهباً بالليل، له بالقرآن دوي كدوي النحل، ولصدره من قراءة القرآن وسماعه أزيز كأزيز المرجل، فإذا دقت طبول الحرب رأيته في الحلبة فارسَها، فإذا عقدت حلقات العلم والدراسة رأيته ابن بَجْدَتها علماً وفقها، فإذا دُعيَ للقضاء بين الناس رأيته العدل بعينه، يحكم بالحق ولا يشتط ولا يميل مع الهوى ولا تخدعه المظاهر، فإذا دخل ميدان السياسة رأيته الكيِّس العاقلَ الذي يضع الأمور في مواضعها، ويوازن بين المصالح والمفاسد، ويبصر ترتيب المصالح المزدحمة، ولا يُخدَع عن دينه بمعسول الكلام، فإذا عاشر أهله رأيته أبرَّ الناس وأوصلَ الناس وأعرفَ الناس بأصول العشرة السليمة، فإذا عامل الناس

وجدته الكريمَ العاقلَ ليس بالخَبّ (أي المخادع) ولا الخبُّ يخدعه. وهكذا تكون الشخصية القرآنية الربانية المتوازنة التي تحتاجها الأمة أشد الاحتياج.

وهي شخصية تتربى في مدرسة الليل على منهاج القرآن الحكيم، يحن المنتسبون إليها إلى الليل حنين الطيور إلى أوكارها، يناجون الله بكلامه، ويتملقون إليه بإنعامه، فيقذف الله من نوره في قلوبهم، ويضع من حكمته على ألسنتهم، فيلزمون طريق الحق بلا تلون ولا تغير، ويدعون إلى الله على بصيرة، فيفتح الله بهم أقطار القلوب، ويملؤون أسماع الدنيا بهذا النشيد الخالد **﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** (الأنعام :١٦٢-١٦٣) لا يصرفهم عما ذاقوا من حلاوة الحق صارف، ولا تأخذهم في الله لومة لائم

يحيون ليلــهم بطاعة ربــهم بتلاوة وتضــرع وسؤال
في الليل رهبان وعند جهادهم لعدوهم من أشجع الأبطال

فهل ترجو أن تكون منهم، وأن تسلك سبيلهم ؟ وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه .

الوقفة السادسة

آداب وسنن قيام الليل

قيام الليل دأب الصالحين وسلوة العابدين، يكفر الذنوب ويحط الخطايا، وينهى عن الفحشاء والمنكر والإثم، ويرفع الدرجات، ونواشئُ الأسحار أجنحةُ أهل الأشواق والوَجْد الإلهي، ولذلك ندب اللهُ أهلَ محبته لمناجاته والسجود له في جوف الليل، فقال عز من قائل ﴿ **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا** ﴾ (الإنسان:٢٦)، وحض عليه الحبيب محمد ﷺ، وعدّد مزاياه، فعن بلال وأبي أمامة وسلمان رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: « **عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيامَ الليل قربةٌ إلى ربكم، ومَنْهَاةٌ عن الإثم، وتكفيرٌ للسيئات، ومَطْرَدَةٌ للداء عن الجسد** »[1]

---

(١) أخرجه **الترمذي** عن بلال وأبي أمامة في كتاب: الدعوات، باب: في دعاء النبي ﷺ (٣٥٤٩) وقال: إن حديث أبي أمامة أصح من حديث بلال. **وحديث أبي أمامة صححه ابن خزيمة** (١١٣٥)، **والحاكم** (١١٥٦) على شرط البخاري، ووافقه الذهبي. وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ص ٦٣٤ ط الشعب = =وحديث **سلمان الفارسي**، أخرجه **الطبراني** في الكبير

ومن ثم حرص عليه الصالحون، وتسابق فيه الموفَّقون .

روي عن جعفر الخلدي قال: رأيت الجُنَيْد في النوم، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وضاعت تلك العبارات، وفَنِيَتْ تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها عند السحر[1].

و لم يكن قيام الليل دأب الأحرار فحسب، بل كان دأب الموفقين من العبيد والخدم أيضا، فقد روي أنه كان لآل الحسن بن صالح بن حي خادم تخدمهم، فاحتاجوا إلى بيعها فباعوها، فلما كان في أول الليل ذهبت وألَحَّت على مولاها تقيمه وتقول: ذهب الليل، مرة بعد مرة، حتى أضجرته، فصاح بها، فلما أصبحت ذهبت إلى آل الحسن فقالت: يا سبحان الله، ما كان يجب عليكم فيما خدمتكم أن تبيعوني من مسلم ! فقال الحسن: سبحان الله، وما له ؟ قالت: انتظرت ليقوم ليتهجد، فلم يفعل، فألححت عليه، فَزَبَرَني (أي نهرني)

(٦١٥٤) والبيهقي ٢/٥٠٢، وفي شعب الإيمان (٣٠٨٩)، وقال الهيثمي في المجمع ٢/٢٥١: « فيه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون، وثقه دُحَيم وابن حبان وابن عدي، وضعفه أبو داود وأبو حاتم ». والحديث بهذه الطرق حسن لغيره.

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣٢٥٦)

وشتمني. فصاح الحسن بابنه علي، وقال: ما تعجب من هذه ! اذهب فتسلّفْ ثمنها من بعض إخواننا وأعتقْها[1] .

وحتى تؤدِّيَ صلاةُ الليل ويؤدي قيامُه الغايةَ التي شرع لأجلها فإنه ينبغي معرفة آدابه والالتزام بأحكامه وسننه، حتى يقيمه على الوجه الأكمل، وفي هذه الوقفة نعيش مع عشرة من أهم آداب وسنن قيام الليل إن شاء الله:

١ - الإخلاص: إذ الأعمال بالنيات، ولا معنى لعمل لا إخلاص فيه، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء وقد قال الله تعالى﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾ (الكهف: ١١٠). وقال عز وجل في الحديث القدسي: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» وفي رواية: «**فأنا بريء منه وهو للذي أشرك** »[2].

وقال ﷺ: « **إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب**

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣٢٣٣).

(٢) الحديث عن أبي هريرة ﷺ أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله (٤٦/٢٩٨٥)، وأحمد ٣٠١/٢، ٤٣٥.

فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فلْيطلبْ ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » [1].

وما وُصف قيامُ الليل بأنه دأبُ الصالحين إلا لأنه علامة الصلاح والصدق والإخلاص، فإن المنافقين يستثقلون صلاةَ الليل من الفريضة فضلاً عن النافلة. ومن هنا فإن على المسلم أن يدرب نفسه على الإخلاص في قيام رمضان؛ ليكون ذلك سبيلا للتدرب على الإخلاص في سائر الأعمال.

٢ -تاخيره إلى النصف الثاني من الليل: فإذا كان وقت القيام يبدأ من بعد صلاة العشاء، فإن أفضله يكون بعد نصف الليل، وذلك إذا لم يخف على نفسه من عدم القيام، ولذلك كان عمر ﷺ يقول: التي ينامون عنها أفضل، يقصد صلاة آخر الليل أفضل من صلاة أوله.

وذلك هو التهجد الوارد في قول الله تعالى **﴿ومن الليل**

---

(١) **الحديث عن أبي سعد بن فضالة ﷺ**، أخرجه الترمذي – وقال: حسن غريب – في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الكهف (٣١٥٤)، وصححه ابن حبان (٤٠٤) و (٧٣٤٥).

فتهجد به نافلة لك﴾ (الإسراء:٧٩) فالتهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم .

ولذلك وصف النبي ﷺ صلاة داود بأنها أحب الصلاة إلى الله، لأنها كانت في جوف الليل الآخر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ أن رسول الله ﷺ قال له: « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما ويفطر يوما** » [١] .

وكان النبي ﷺ يتحرى هذا الوقت في صلاة الليل، فعن الأسود بن يزيد النخَعي قال: سألت عائشة رضي الله عنها: كيف صلاة النبيﷺ بالليل ؟ قالت: كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج [٢].

وفي رواية: كان ينام أول الليل ويحيي آخره، ثم إن كانت

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: من نام عند السحر (١١٣١) .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: من نام أول الليل وأحيا آخره (١١٤٦) **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات- -النبي ﷺ في الليل (٧٤٩/١٤٥-١٤٨).

له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام، فإذا كان عند النداء الأول قالت وثب (ولا والله ما قالت قام) فأفاض عليه الماء (ولا والله ما قالت اغتسل، وأنا أعلم ما تريد) وإن لم يكن جنبا توضأ وضوء الرجل للصلاة ثم صلى الركعتين[1].

كما كان ﷺ يدعو إلى الصلاة في جوف الليل الآخر، فعن عمرو بن عبسة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن** »[2].

فإن لم يستطع تأخير القيام فليؤخر الوتر إن استطاع، فإن لم يستطع تأخير الوتر أو خاف أن لا يقوم فليوتر في آخر صلاته قبل نومه، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل**

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل (١٢٩/٧٣٩).

(٢) أخرجه **الترمذي** – وقال: حسن صحيح غريب – في كتاب: الدعوات (٣٥٧٩)، وصححه ابن خزيمة (١١٤٧)، **والحاكم** (١١٦٢) على شرط مسلم.

مشهودة، وذلك أفضل » وفي رواية: « **أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بقيام من الليل فليوتر من آخره، فإن قراءة آخر الليل محضورة، وذلك أفضل** » [1]. ومعنى مشهودة أو محضورة: أي تشهدها الملائكة، وقد قال تعالى﴿ **إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾ (الإسراء:٧٨). والمقصود بقرآن الفجر: صلاة الصبح، حيث تشهدها الملائكة.

٣ - الصلاة مثنى مثنى: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجلا قال: يا رسول الله، كيف صلاة الليل ؟ قال: «**مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة** »[2].

وفي رواية :فقيل لابن عمر رضي الله عنهما: ما مثنى مثنى ؟ قال: أن يسلّم في كل ركعتين [3].

٤ - افتتاح القيام بركعتين خفيفتين: فعن عائشة رضي

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله (١٦٢/٧٥٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: كيف صلاة النبي ﷺ (١١٣٧) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل مثنى مثنى (١٥٩/٧٤٩) .

الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين** »[2]. زاد في رواية عند أبي داود: « **ثم ليطوِّلْ بعدُ ما شاء** ».

ويبدو والله أعلم أن ركعتي الافتتاح الخفيفتين هاتين ليستا من ضمن الإحدى عشرة ركعة التي كان النبي ﷺ يواظب عليها، ففي إحدى روايات حديث ابن عباس رضي الله عنه في مبيته عند خالته ميمونة قال: فصلى (أي النبي ﷺ) ركعتين خفيفتين قد قرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة ثم سلم، ثم صلى حتى صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر، ثم نام فأتاه بلال، فقال: الصلاة يا رسول الله. فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس[3].

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١٩٧/٧٦٧).

(٢) أخرجه **مسلم** في الموضع السابق (١٩٨/٧٦٨)، **وأبو داود** في كتاب: الصلاة باب: افتتاح صلاة الليل بركعتين (١٣٢٣-١٣٢٤) .

(٣) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: في صلاة الليل (١٣٦٤).

فعلى هذا يكون بعض من عدَّ للنبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة احتسب هاتين الركعتين، كما فعل زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه في حديثه.

٥ - **التطويل فيما بعد ركعتي الافتتاح:** فقد سبق بيان تطويل النبي ﷺ وتطويل الصحابة والتابعين في قيام الليل، وقال جابر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: « **أفضل الصلاة طول القنوت** »، وفي رواية: سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل ؟ قال: « **طول القنوت** »[١]. وفسر العلماء طول القنوت بطول القراءة في الصلاة .

وعلى قدر ما يطيل القراءة في صلاة الليل يكون الأجر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قام بعشر آيات لم يُكْتَب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** »[٢].

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: أفضل الصلاة طول القنوت (٧٥٦/١٦٤-١٦٥) .

(٢) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: تحزيب القرآن (١٣٩٨)، وصححه ابن خزيمة (١١٤٤)، وابن حبان (٢٥٧٢) .

٦ -**إقامة بعضها في البيت:** حتى لا تكون البيوت قبورا فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا** »[(١)] .

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فلْيَجْعَلْ لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله جاعلٌ في بيته من صلاته خيرا** »[(٢)].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **مثل البيت الذي يُذْكَر الله فيه والبيت الذي لا يُذْكَر الله فيه مثل الحي والميت** »[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة** »[(٤)].

وأرى أيها الأخ الكريم أن تستغل رمضان لتقوم بأهلك

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (٧٧٧/٢٠٨-٢٠٩).

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٧٧٨/٢١٠) .

(٣) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٧٧٩/٢١١).

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٧٨٠/٢١٢) .

في البيت ركعات تكون تعويدا لهم على القيام، وسبباً من أسباب ائتلاف القلوب على الخير، وتأسياً بالنبي ﷺ الذي كان يوقظ نساءه ويحضهن على قيام الليل، وقياما بمعنى الرسالة التي يجب أن يحملها كل مسلم للبشرية بدءاً بأهله .

٧ -تحري الدعاء في جوف الليل بالمأثور منه : فالدعاء في جوف الليل مَظِنَّة إجابة، وفي الليل ساعة تحصل فيها إجابة الدعاء، فعن جابر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « **إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة** » (١) .

ولعل تلك الساعة هي ثلث الليل الآخر حين يترل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر فأغفر له ...إلخ .

وعلى الإنسان أن يتحرى المأثور من الدعاء قدر الإمكان فهو أفضل الدعاء؛ لأنه خرج من أطيب لسان مترجما عما في أطيب قلب ظهر في هذه الحياة، فقد كان قلبه الشريفﷺ خير

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء (٧٥٧/١٦٦-١٦٧) .

القلوب الذاكرة، وكانت آيات الله وأنعمه تؤثر فيه أتم تأثير، فينطق لسانه بأصدق صيغ الحمد والثناء على الله، بل كان يُلْهَم هذا الذكر والدعاء إلهاما **﴿ وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى ﴾** (النجم :٣-٤). فهل ترى ذكراً ودعاء أطيب وأصدق وأرجى للإجابة والقبول من الدعاء النبوي الكريم ؟ .

ومن الدعاء المأثور عنه ﷺ في قيام الليل مما كان يفتتح ﷺ به الصلاة بالليل: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حين سألها سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(١).

ومما كان ﷺ يفتتح به صلاته أيضا ما رواه عاصم بن

---

(١) مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٧٠/ ٢٠٠).

حُمَيْد قال: سألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيءٍ كان يفتتح رسولُ الله ﷺ قيام الليل ؟ فقالت: لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ قبلك. كان إذا قام كَبَّر عشراً، وحمد الله عشراً، وسبَّح عشراً، وهلَّل عشراً واستغفر عشراً وقال: « **اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني** » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة [1].

ومن ذلك: ما رواه جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة – قال عمرو (ابن مرة): لا أدري أيَّ صلاة هي – فقال: « **الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا** – ثلاثا – **أعوذ بالله من الشيطان، من نفخه ونفثه وهمزه** » قال عمرو: نفثه الشعر، ونفخه الكبر، وهمزه الْمُوتَة [2].

---

(١) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (٧٦٦)، **والنسائي** في كتاب: قيام الليل، باب: ذكر ما يستفتح به القيام، وصححه **ابن حبان** (٢٦٠٢).

(٢) أخرجه **أبو داود** في السابق (٧٦٤)، وصححه **ابن حبان** (١٧٨٠، ٢٦٠١) – **–والحاكم** (٨٥٨)، ووافقه الذهبي. **والهمز**: هو النخس والغمز، **والموتة** – بضم الميم: الجنون، والمعنى: أن من مسه الشيطان أصيب بالجنون .

ومن الدعاء المأثور في صلاة الليل: ما رواه ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: « **اللهم لك الحمد أنت قيِّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملكُ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت. أو لا إله غيرك** ».

قال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أمية: « **ولا حول ولا قوة إلا بالله** »(١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: التهجد من الليل(١١٢٠)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٧٦٩ /١٩٩).

ومنه: الدعاء الذي حفظه ابن عباسﷺ من النبي ﷺ عند ركعتي الفجر، حين بات ابن عباسﷺ عند خالته ميمونة، حيث قال: وكان في دعائه ﷺ - وفي رواية: فجعل يقول في صلاته أو في سجوده -: « **اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وعظِّمْ لي نورا** » [1].

هذا كله فضلا عما جاء من أدعية مأثورة في الصلاة عند افتتاحها وفي ركوعها وسجودها، وفضلا عما يفتح الله به من الدعاء، وكلما كان الدعاء من المأثور كان أكمل وأحسن وأرجى للقبول، مع مراعاة عدم التكلف والاعتداء في الدعاء، وعدم افتعال السجع وتكلفه أو استحسان الصوت به، فيجب الاهتمام بالمحافظة على آداب الدعاء المشروعة.

٨ - التسوك عند القيام للتهجد: فعن حذيفةﷺ أن

---

(١) أخرجه مسلم في الموضع السابق (٧٦٣/١٨١، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١)

النبيﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه بالسواك(١).

وفي حديث سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن وتر رسول اللهﷺ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله (أي يوقظه) ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك (٢).

وفي حديث ابن عباسﷺ في مبيته عند خالته ميمونة أن النبي ﷺ حين قام تسوَّك وتوضأ.

٩ -المحافظة على قيام الليل لمن اعتاده: فقد كان النبي ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه صاحبه، فعن مسروق بن الأجدع الهمداني قال: سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ ؟ فقالت: كان يحب الدائم. قال: قلت: أي حين كان يصلي ؟ فقالت: كان إذا

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: طول القيام في صلاة الليل (١١٣٦). وأصل **الشوّص**: الغسل، ومعنى يشوص فاه: يدلك أسنانه وينقيها، وقيل: يدلكها بالسواك من أسفل إلى أعلى.

(٢) سبق تخريجه في الوقفة الأولى.

سمع الصارخ قام فصلى[1].

وحتى في حالة المرض أو الوجع كانﷺ يواظب على قيام الليل والصلاة فيه ولو قاعدا، فعن أنسﷺ قال: وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئاً، فلما أصبح قيل: يا رسول الله، إن أثرَ الوجع عليك لَبَيِّنٌ. قال: « **أما إني على ما ترون بحمد الله قد قرأت البارحة السبع الطوال** »[2].

وقد سبق حديث عائشة أنه ﷺ كان إذا غلبه نوم أو وجع من الليل صلى بالنهار اثنتي عشرة ركعة .

وقالت عائشة لعبد الله بن أبي قيس: لا تدَعْ قيامَ الليل، فإن رسول اللهﷺ كان لا يَدَعُه، وكان إذا مرض أو كسل صلّى قاعدا[3] .

وكان ﷺ يحذر أصحابه من ترك القيام بعد اعتياده، فقال

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ في الليل (١٣١/٧٤١). **والصارخ**: الديك، سمي بذلك لكثرة الصياح بالليل

(٢) أخرجه **ابن خزيمة** (١١٣٦).

(٣) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: قيام الليل (١٣٠٦)، وصححه **ابن خزيمة** (١١٣٧).

لعبد الله بن عمرو ﷺ: « **يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل** » (١).

١٠ -القنوت في الوتر في النصف الثاني من الشهر: فعن ابن سيرين قال: كان أُبَيٌّ يقوم للناس على عهد عمر في رمضان، فإذا كان النصف جهر بالقنوت بعد الركعة، فإذا تمت عشرون ليلة انصرف إلى أهله، وقام للناس أبو حليمة معاذٌ القارئُ، وجهر بالقنوت في العشر الأواخر، حتى كانوا مما يسمعونه يقول: اللهم قحط المطر، فيقولون: آمين، فيقول: ما أسرع ما تقولون آمين، دعوني حتى أدعو (٢) .

وعن عطاء قال: عمرُ ﷺ أول من قنت في رمضان في النصف الآخر من رمضان، بين الركعة والسجدة. وفي رواية أن ابن جريج قال له: النصف الآخر أجمع ؟ قال: نعم .

وعن الزهري أن أُبَيَّ بنَ كعب ﷺ كان يقنت في النصف الآخر من رمضان بعد الركوع.

---

(١) متفق عليه، وسبق تخريجه في الوقفة الأولى .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٧٧٢٤)، وأخرج ابن أبي شيبة (٦٩٣٥) نحوه عن الحسن، كما أخرج (٦٩٤١) عن الحسن أن عمر هو الذي أمر أُبياً بذلك.

وقال معمر أخبرني من سمع إبراهيم يقول: كان ابن مسعود ﷺ يقنت السنة كلها [1].

وسبق في الوقفة السابقة قول عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: ما أدركتُ الناس إلا وهو يلعنون الكفرة في رمضان (يعني يدعون عليهم في القنوت) .

وعن نافع، عن ابن عمرﷺ أنه كان لا يقنت إلا في النصف، يعني من رمضان [2] .

وروي ذلك عن علي والحسن وابن سيرين وغيرهم [3].

كانت تلك أهم الآداب والسنن المتعلقة بقيام الليل عموما وقيام رمضان على وجه الخصوص، فاحرصوا أيها الإخوان على الالتزام بها، والاقتداء في قيامكم وفي سائر أعمالكم بسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمدﷺ، حتى نكون من المفلحين، والله يتولى هدايتنا وإياكم إلى صراطه المستقيم.

---

(١) أخرجها جميعا عبد الرزاق (٧٧٢٨-٧٧٢٩)، وابن أبي شيبة (٦٩٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦٩٣٢-٦٩٣٣).

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦٩٣٤-٦٩٤٢).

الوقفة السابعة

من أسباب الإعانة على قيام الليل

في هذه الوقفة أستعرض معك أخي الكريم بعض الأسباب التي تيسر قيام الليل، وهي كلها أسباب تأتي بعد عون الله وتوفيقه، فبعونه سبحانه وحده يتحقق المأمول، ويسهل الوصول، والأسباب الأخرى لا قيمة لها ولا وزن إذا حُرِم العبدُ توفيق الله عز وجل

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وتحت عنوان (بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل) ذكر حجة الإسلام الإمام الغزالي في الإحياء أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وُفِّق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا.

فأما الأسباب الظاهرة فأربعة:

الأول: تخفيف المعدة من ثقل الطعام: فلا يكثر الإنسان الأكل والشرب، فيغلبه النوم، ويثقل عليه القيام. كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة، ويقول: معاشر المريدين لا

تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا، فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا.

فإذا أردتَ أخي الكريم أن يتيسر لك القيام فتقلَّل ما أمكنك من الطعام والشراب، وبخاصة عند الإفطار من رمضان، فإننا نرى كثيرا من الناس إذا جلسوا على مائدة الإفطار أكلوا أكل المحرومين، ثم شربوا شرب الهيم، فتتثاقل رؤوسهم عن القيام إلى الفرائض، فضلا عن النوافل؛ لا سيما إن تعلقوا بالبرامج الهابطة والأفلام والمسلسلات الفارغة التي يتفنن أهل اللهو في تقديمها في عصر الفضاء المفتوح. نعوذ بالله من الخذلان والخسران.

الثاني: إعطاء النفس قسطا من الراحة بالنهار وعدم إجهادها وإعيائها ،حتى تقوى على القيام بالليل، فإن الأعمال التي يعيا بها الجسم وتضعف بها الأعصاب تؤدي ولا ريب إلى النوم الذي لا تمكن مغالبته أو دفعه، ولا ينبغي للإنسان أن يصلي وهو نائم أو قد غلبه النوم؛ لأنه عندئذ لا يدري ما يقول، ولعله يريد أن يدعو لنفسه فيدعو عليها، وفي الحديث

عن أنس ﷺ: « **ليصل أحدكم نشاطَه، فإذا فَتَرَ فليقعد** » [1]

الثالث: القيلولة بالنهار، ليستعين بذلك على قيام الليل فعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **استعينوا بطعام السحر على صيام النهار، وبالقيلولة على قيام الليل** » [2].

والقيلولة والمقيل عند العرب: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، بدليل قوله تعالى **﴿وأحسن مقيلا﴾** (الفرقان: ٢٤) والجنة لا نوم فيها. وعمل السلف والخلف على أن القيلولة مطلوبة؛ لإعانتها على قيام الليل. قال حجة الإسلام: وإنما تطلب القيلولة لمن يقوم الليل ويسهر في الخير، فإن فيها معونة على التهجد كما أن في السحور معونة على صيام النهار، فالقيلولة لقيام الليل كالسحور لصيام النهار [3] .

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة (١١٥٠)، **ومسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد (٧٨٤/٢١٩).

(٢) أخرجه ابن **ماجه** في كتاب: الصيام، باب: ما جاء في السحور (١٦٩٣)، وابن **خزيمة** (١٩٣٩)، **والحاكم** (١٥٥١)، **والبيهقي** في الشعب (٤٧٤٢)، وأشار ابن خزيمة إلى ضعفه، وقواه الحاكم.

(٣) فيض القدير ٥٣١/٤.

وكان الحسن البصري رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولهوهم يقول: أظن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون.

الرابع: اجتناب الذنوب والأوزار، والتنزه عن أكل الحرام: فإن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر، والقليل من أي منهما يجر إلى الكثير، وأكل الحرام وفعل الذنوب مما يُقَسِّي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة، وكم من أكلة منعت قيام ليلة ! وكم من نظرة منعت قراءة سورة ! وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إني أبيت معافى، وأحب قيام الليل، وأعد طَهوري، فما بالي لا أقوم ؟ فقال: ذنوبُك قيَّدتْك.

وقال سفيان الثوري: حُرِمْتُ قيامَ الليل خمسة أشهر بذنبٍ أذنبتُه. قيل: وما ذاك الذنب ؟ قال: رأيتُ رجلا يبكي فقلتُ في نفسي: هذا مُرَاءٍ.

أَعَرَفْتَ - إذاً - أيها الأخ الكريم لماذا يستفز الشيطان

أعوانه وأتباعه في هذا الشهر الكريم ويستنفرهم لشغل الصائمين طوال النهار والليل بالأفلام والمسلسلات والبرامج التافهة بدعوى التسلية وقطع الأوقات، حتى إذا ما جن الليل ثقلوا عن الطاعة وقعدوا عن القيام ؟ نعوذ بالله من الخذلان والخسران.

وأزيدك أيها الأخ الكريم على ما سبق: **الحرص على اتخاذ ساعة منبهة**، تضبطها على الساعة التي تريد أن تقوم فيها من الليل، وكذلك الاستعانة بأحد إخوان الصدق والصلاح الحريصين على القيام، لينبهك عند قيامه، عن طريق المرور عليك أو إيقاظك بالهاتف أو غير ذلك مما هو سهل ميسور بفضل الله.

وأما الأسباب الباطنة الميسرة لقيام الليل فأربعة أيضا:

الأول: سلامة القلب من الحقد على المسلمين، وخلوه من البدع، وتخفظه من الانشغال بفضول هموم الدنيا، فإن الذي يستغرقه الهم بتدبير أمور الدنيا لا يتيسر له القيام، فإذا قام فإنه لا يتفكر في صلاته بل في مهماته، فهو حاضر كغائب وعابد كلاعب، وفي مثل ذلك قيل:

يخـــبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم

الثاني: تخويف النفس وقصر الأمل، فإن القلب إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه، وعظم حذره، كما قال طاوس: إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين.

حكي أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله، فقالت له سيدته: إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال: إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم.

وقيل لغلام آخر وهو يقوم الليل، فقال: إذا ذكرتُ النارَ اشتد خوفي، وإذا ذكرتُ الجنة اشتد شوقي، فلا أقدر أن أنام.

وقال ذو النون المصري رحمه الله:

منع القرآن بوعده ووعيـــده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فَهِمُوا عن الملك الجليلِ كلامَه فرقابُهم ذلَّتْ إليه تَخَضُّعـــا

وقال العالم العابد الزاهد عبد الله بن المبارك رحمه الله:

إذا ما الليل أظلم كابـــدوه فيسفر عنهم وهموا ركوعُ
أطار الخوفُ نومَهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هُجُوعُ

الثالث: معرفة فضل قيام الليل من خلال الآيات والأخبار والآثار، حتى يشتد رجاء العبد ويستبد به الشوق إلى

ثوابه العظيم، فينهض في طلب المزيد، ويرغب في تحصيل الكثير، ويلحق بذلك صحبة الصالحين الذين لهم نصيب من قيام الليل، وقراءة أخبار القوم ممن جعلوا الليل مركبهم إلى الله عز وجل، فيتأكد لديه أن عند الصباح يحمد القوم السرى.

الرابع: وهو أشرف الأسباب: الحب لله وقوة الإيمان به، واليقين بأنه في حالة قيامه بين يديه لا يتكلم بحرف إلا وهو مُناجٍ ربه، وربُّه مطلعٌ عليه، مشاهد لخطرات قلبه، فيأنس عندئذٍ بالله، ويتلذذ بالخلوة به ومناجاته، ويفرح بوصاله، كما قيل لبعض السلف: كيف أنت والليل ؟ قال: ما راعيتُه قط، يريني وجهه ثم ينصرف. فكأن الليل على طوله لم يحس به لما استغرقه من لذة المناجاة لله عز وجل.

وقال الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحتُ بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنتُ لدخول الناس عليّ.

وقال أبو سليمان الداراني: أهل الليل (أي أهل قيام الليل) في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيا. وقال: لو عوَّض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثرَ من ثواب أعمالهم.

وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة [1].

فهلمَّ – أحبتي الكرام – إلى مدرسة الليل، نتعلم فيها معنى الإيمان الحق، فنرقى بنفوسنا، ونسمو بقلوبنا، ونحلق بأرواحنا في أجواء الرضا الإلهي والنفحات القدسية، بعيدا عن الإخلاد إلى الأرض والارتكاس في حمأة الشهوات.

يا رجـــال الليـــل جـــدُّوا رُب صـــوت لا يُـــرَدُّ
لا يقـــــوم الليـــلَ إلا مَن له عـــزمٌ وجِـــــدُّ

والله عز وجل نسأل أن يجعلنا من الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحـــار، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي الختـــام: فوائد عامة من الحديث

١ – جواز الائتمام بالمصلي وإن لم ينو الإمامة، فإن الصحابة حين صلوا بصلاة رسول الله ﷺ في الليلة الأولى لم

(١) انظر: إحياء علوم الدين ص ٦٣٨ وما بعدها.

يكن قد نوى الإمامة بهم، وهو ما فعله ابن عباس ﷺ حين صلى خلف رسول الله ﷺ في بيت خالته ميمونة، وما فعله غيره من الصحابة.

٢ – جواز صلاة النافلة والتطوع في جماعة .

٣ – استحباب الجماعة في صلاة التراويح، وهو أفضل على الراجح من أدائها منفردا .

٤ – جواز صلاة النافلة في المسجد، وإن كان أداؤها في البيت أفضل إلا في قيام رمضان فأداؤها مع الجماعة في المسجد أفضل .

٥ – إذا تعارضت مصلحة وخوف مفسدة أو مصلحتان اعتبر أهمهما، فإن النبي ﷺ لم يخرج إليهم بعد أن احتشدوا للصلاة خلفه، مخافة أن يُفتَرض عليهم القيام، ورأى أن الأهم وهو عدم التحريج والتضييق على الأمة أولى من مصلحة صلاتهم خلفه .

٦ – استدل به بعض العلماء على أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهو واضح.

٧ – فيه أن على الإمام وكبير القوم إذا فعل شيئا خلاف

ما يتوقعه أتباعه وكان له فيه عذر أن يذكره؛ تطييباً لقلوبهم، وإصلاحاً لذات البين؛ لئلا يظنوا خلاف هذا. ولذلك فإن النبي ﷺ ذكر لهم أنه لم يَخْفَ عليه احتشادُهم وانتظارُهم إياه للصلاة خلفه، وأنه لم يزل في ليلته قائما يصلي، لكن منعه من الخروج إليهم خوفُه أن يُكتَب عليهم قيام الليل، ثم يعجزوا عنه ويقصروا فيه.

٨ – استدل به ابن عبد البر على أنه لا يؤذن ولا يقام لشيء من النوافل وإن فعلت في جماعة .

وقفات مع
اعتكاف العشر الأواخر
وفضل ليلة القدر

حديث الاعتكاف وليلة القدر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله يُجَاوِر في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: « **تَحَرَّوْا ليلَةَ القَدْرِ في العشرِ الأواخرِ من رمضان** » [1].

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠٢٠).

والشطر الأول، وهو اعتكاف العشر الأواخر، أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف في العشر الأواخر والاعتكاف في المساجد كلها (٢٠٢٦)، **ومسلم** في كتاب: الاعتكاف، باب: اعتكاف العشر الأواخر من رمضان (١١٧٢/٣-٥)، وفيه زيادة: **ثم اعتكف أزواجه من بعده.**

والشطر الثاني، وهو الأمر بتحري ليلة القدر في العشر الأواخر، أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠١٩،٢٠١٧)، **ومسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها (١١٦٩/٢١٩).

الوقفة الأولى
الاعتكاف وحكمه

الاعْتِكَافُ في اللُّغَة: الْحَبْسُ وَالْمُكْثُ وَاللُّزُومُ، **وَفي الشَّرْعِ**: الْمُكْثُ في الْمَسْجد منْ شَخْص مَخْصُوص بصفَة مَخْصُوصَة. سُمِّيَ بذَلكَ لمُلازَمَة الْمَسْجد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى **﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾** (البقرة: ١٨٧) وَقَالَ **﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾** (الأنبياء: ٥٢) وَقَالَ **﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾** (الأعراف:١٣٨)

قَالَ الشَّافعيُّ في سُنَنِ حَرْمَلَةَ: **الاعْتِكَافُ**: لُزُومُ الْمَرْءِ شَيْئًا وَحَبْسُ نَفْسه عَلَيْه برًّا كَانَ أَوْ إِثْمًا .

وَأَمَّا **الْمُجَاوَرَةُ** فَهِيَ بمَعْنَاهُ صَرَّحَ غَيْرُ وَاحد منْ أَهْلِ اللُّغَة وَالْغَريب بأَنَّهَا الاعْتكَافُ في الْمَسْجد .وَقَدْ قَالَ الْقَاضي عياض في الْمَشَارق: إِنَّهَا بمَعْنَى الْمُلازَمَة وَالاعْتكَاف عَلَى الْعبَادَة وَالْخَيْر، وَالْجوَارُ الاعْتكَافُ [1].

---

(١) انظر: طرح التثريب بشرح التقريب ١٦٦/٤.

قال عمرو بن دينار: الجوار والاعتكاف شيء واحد(١).

والاعتكاف من السنن المستحبة التي واظب عليها النبي ﷺ، فلم يمر عليه رمضان إلا اعتكف، فإذا شغله عن الاعتكاف سفر أو غيره قضاه في شوال أو في رمضان من العام التالي. ودليل مشروعيته قوله تعالى **﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾** (البقرة:١٨٧) .

وقت الاعتكاف ومدته :

السنة أن يكون في العشر الأواخر من شهر رمضان، ففي حديث الباب وغيره أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه ﷺ اعتكف أولاً العشر الوسطى، ثم اعتكف العشر الأخير حين بيَّن الله تعالى له أن ليلة القدر في العشر الأواخر لا في العشر الوسطى فداوم بعد ذلك على الاعتكاف فيها، وهذا لا يمنع من اعتكاف غيرها، وقد اعتكف النبي ﷺ عشرين ليلة في العام الأخير من

(١) أخرجه عبد الرزاق (٨٠٠٤).

حياتهﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرةَ أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما [1].

وفي رواية: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه، وكان يعتكف في كل عام عشرا، فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه [2] .

وكأن أبا هريرة ﷺ فهم أن هناك ارتباطاً بين تكرار العرض ومضاعفة مدة الاعتكاف.

وقيل: السبب في مضاعفة مدة اعتكافه في العام الأخير أنهﷺ علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد في العمل إذا بلغوا أقصى العمل؛ ليلقوا الله على خير أحوالهم [3].

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف في العشر الأوسط من رمضان (٢٠٤٤).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضائل القرآن، باب: كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (٤٩٩٨) .

(٣) فتح الباري ٤/٢٨٥.

وسيأتي بعدُ أنه ﷺ كان إذا سافر في رمضان اعتكف في العام التالي عشرين يوما.

ويصح الاعتكاف لأقل من عشر ليال لمن لم يتيسر له اعتكاف العشر، بل ذهب بعض العلماء إلى أن من جلس ساعة في المسجد بنية الاعتكاف فهو معتكف طال به المكث أو قصر، فعن يَعْلَى بن أمية رضي الله عنه قال: إني لأمكث في المسجد الساعة، وما أمكث إلا لأعتكف.

وقال عطاء بن أبي رباح:هو اعتكاف ما مكث فيه، وإن جلس في المسجد احتساب الخير فهو معتكف، وإلا فلا[1].

الحكمة من الاعتكاف:

الاعتكاف لون من ألوان الخلوة بالله، يجتهد فيه الموفَّقون بإصلاح قلوبهم عن طريق الانقطاع الكامل والإقبال التام على الله بالصلاة والقراءة والذكر وترك شواغل الحياة وفضول الكلام.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: « لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيَّته

(١) أخرجهما عبد الرزاق في المصنف (٨٠٠٦-٨٠٠٧).

على الله ولَمِّ شعَثه بإقباله بالكلية على الله تعالى؛ فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام وفضول الكلام وفضول المنام مما يزيده شعثاً، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى أو يضعفه، أو يعوقه ويوقفه؛ اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُذهب فضولَ الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاطَ الشهوات المعوِّقةَ له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصودُه وروحُه عكوفُ القلب على الله تعالى وجمعيَّته عليه والخلوةُ به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق، والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكرُه وحبُّه والإقبالُ عليه في محل هموم القلب وخطَراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيُعدُّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم .

ولما كان هذا المقصود إنما يتم مع الصوم شرع الاعتكاف

في أفضل أيام الصوم، وهو العشر الأخير من رمضان، ولم ينقل عن النبي ﷺ أنه اعتكف مفطراً قط، بل قد قالت عائشة: لا اعتكاف إلا بصوم. ولم يذكر الله سبحانه الاعتكاف إلا مع الصوم، ولا فعله رسول الله ﷺ إلا مع الصوم. فالقول الراجح في الدليل الذي عليه جمهور السلف أن الصوم شرط في الاعتكاف، وهو الذي يرجحه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية .

وأما الكلام فإنه شرع للأمة حبس اللسان عن كل مالا ينفع في الآخرة .

وأما فضول المنام فإنه شرع لهم من قيام الليل ما هو من أفضل السهر وأحمده عاقبة، وهو السهر المتوسط الذي ينفع القلب والبدن، ولا يعوق عن مصلحة العبد.

ومدار رياضة أرباب الرياضات والسلوك على هذه الأركان الأربعة، وأسعدهم بها من سلك فيها المنهاج النبوي المحمدي، ولم ينحرف انحراف الغالين، ولا قصر تقصير المفرطين »(١) .

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد ٢/٨٦-٨٨.

قلت: وهذه الأركان الأربعة المذكورة مجموعة في الاعتكاف، ولهذا يحرص عليه السعداء الموفقون، ويتغافل عنه المخذولون .

ويضاف إلى هذا الكلام القيم: أن المسلم مطالب بتحري ليلة القدر في هذه العشر الأواخر، ليحصل ما فيها من الفضل والأجر، ومن ثم فإن الاجتهاد يعظم في هذه العشر، ومن جملة هذا الاجتهاد الانقطاع الكامل عن الخلق بالاعتكاف؛ التماساً لمصادفة الليلة المباركة والعبد في أكمل أحواله إقبالا على الله تعالى.

متى يدخل الإنسان المعتكف؟

في حديث عائشة ﷺ قالت: كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباءً فيصلي الصبح ثم يدخله.

وفي رواية: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر، ثم دخل فيه [1].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: الصيام، باب: ما جاء في الاعتكاف (٧٩١) -

قال الترمذي: « والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم يقولون: إذا أراد الرجل أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل في معتكفه. وهو قول أحمد وإسحاق بن إبراهيم .

وقال بعضهم: إذا أراد أن يعتكف فلْتَغبْ له الشمس من الليلة التي يريد أن يعتكف فيها من الغد وقَد قعد في معتكفه وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس » [١].

قال إبراهيم النخعي: إذا أراد أن يعتكف فلتغرب له الشمس من الليلة التي يريد أن يعتكف فيها وهو في المسجد[٢]

(يعني ينتظر حتى إذا غابت الشمس من اليوم السابق على اعتكافه دخل معتكفه، وذلك يوم التاسع عشر بعد غروب الشمس) .

وقال مالك:يدخل المعتكف المكان الذي يريد أن يعتكف فيه قبل غروب الشمس من الليلة التي يريد أن يعتكف فيها، حتى يستقبل باعتكافه أول الليلة التي يريد أن يعتكف فيها [٣].

=وصححه ابن حبان (٣٦٦٦).

(١) سنن الترمذي ١٥٨/٣ عقب الحديث (٧٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦٤٨).

(٣) الموطأ في كتاب: الاعتكاف، باب: ذكر الاعتكاف ٣١٤/١.

هل يشترط الصوم للاعتكاف:

لا شك أن الاعتكاف إن كان في رمضان فإن المعتكف يكون صائما، لكن هناك اختلافا فيما لو اعتكف في غير رمضان، أو اعتكف وفاءً بنذر ونحوه، وقد سبق عن ابن القيم رحمه الله أنه نقل ترجيح اشتراط الصوم للمعتكف، مستدلا بفعل النبيﷺ حيث لم يعتكفﷺ أبدا إلا وهو صائم.

وممن نقل عنهم **ضرورة الصيام للمعتكف:** عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعائشة وعروة بن الزبير والزهري وإبراهيم النخعي وعكرمة والشعبي، ونقل عن الزهري أن صوم المعتكف سنة، ونقل عنه أنه واجب(١).

وهذا قول الإمام مالك، فقد روى في الموطأ أنه بلغه أن القاسم بن محمد ونافعاً مولى عبد الله بن عمرﷺقالا: لا اعتكاف إلا بصيام، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم**

---

(١) انظر أقوالهم في مصنف عبد الرزاق، باب: لا اعتكاف إلا بصيام (٨٠٣٣: ٨٠٤١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٩٦١٩-٩٦٣٠).

عاكفون في المساجد﴾ فإنما ذكر الله الاعتكاف مع الصيام. قال مالك: وعلى ذلك الأمر عندنا، أنه لا اعتكاف إلا بصيام [(١)].

وإلى هذا ذهب الحنفية والأوزاعي.

وذهب كثير من العلماء إلى جواز الاعتكاف من غير صوم، واستدلوا بحديث عبد الله بن عمر ﷺ أن عمر ﷺ سأل النبي ﷺ قال: كنتُ نذرتُ في الجاهلية أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام ؟ قال: « **فأَوْف بنذرك** » [(٢)]. وقد استدل به البخاري على عدم لزوم الصومَ للمعتكف، **ووجهه**: أن الليل ليس ظرفا للصوم، فلو كان الصوم شرطا لأمره النبي ﷺ به. وقال ابن خزيمة في الترجمة لهذا الحديث: باب: الخبر الدال على إجازة الاعتكاف بلا مقارنة للصوم؛ إذ النبي ﷺ قد أمر باعتكاف ليلة، ولا صوم في الليل [(٣)].

وإذا كان قد جاء في رواية لمسلم (يوما) بدل ليلة، فقد

---

(١) **الموطأ** في كتاب: الاعتكاف، باب: ما لا يجوز الاعتكاف إلا به ٣١٥/١.

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف ليلا (٢٠٣٢)، وباب: من لم ير عليه إذا اعتكف صوما (٢٠٤٢)، وباب: إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف ثم أسلم (٢٠٤٣)، وانظر أرقام (٣١٤٤، ٤٣٢٠، ٦٦٩٧) .

(٣) صحيح **ابن خزيمة** ٣٥١/٣ ترجمة الحديث (٢٢٣٩) .

جمع ابن حبان بينهما بأنه نذر اعتكاف يوم وليلة. فمن أطلق ليلة أراد بيومها، ومن أطلق يوما أراد بليلته.

لكن جاء في رواية أبي داود أن النبيﷺقال له: « **اعتكف وصم** »[1].

لكن في إسناده عبد الله بن بُدَيْل الخزاعي، وهو مختلف فيه، وقال عنه ابن عدي: له أحاديث مما تنكر عليه الزيادة في متنه أو إسناده. وهذا مما زاد فيه على رواية الثقات، وذكر ابن عدي والدارقطني أنه تفرد بذلك عن عمرو بن دينار، فلا يحتج بهذه الرواية.

وردوا الاحتجاج بكون النبيﷺ لم يعتكف إلا صائما بأنه ﷺ إنما كان صائما لرمضان، وأنهﷺ اعتكف في شوال - كما سيأتي عند الحديث عن اعتكاف النساء - و لم ينقل أحد أنه كان إذ ذاك صائما. كما ردوا استدلال مالك بأن الله تعالى ذكر الاعتكاف بإثر الصوم بأنه ليس في ذلك ما يدل على وجوب تلازمهما، وإلا لكان لا صوم بلا اعتكاف، ولا قائل

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصيام، باب: المعتكف يعود المريض (٢٤٧٥).

بذلك [1].

والذي يترجح لي أن الاعتكاف لا يلزم معه الصوم، وإن كان الصوم معه أفضل، والله أعلم. وقد قال علي وابن مسعود ﷺ: المعتكف ليس عليه صوم إلا أن يشترط ذلك على نفسه [2].

هل للاعتكاف مسجد مخصوص:

يرى بعض العلماء أنه لا يصح الاعتكاف إلا في أحد المساجد الثلاثة، فعن إبراهيم النخعي قال: جاء حذيفة إلى عبد الله ﷺ، فقال: ألا أعجبك من قومك عكوفٌ بين دارك ودار الأشعري - يعني المسجد - قال عبد الله: ولعلهم أصابوا وأخطأت. فقال حذيفة: أما علمت أنه لا اعتكاف إلا في ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد رسول الله ﷺ ؟ وما أبالي أعتكف فيه أو في سوقكم هذه [3]. زاد في رواية: وكان الذين اعتكفوا فعاب عليهم حذيفة في

(١) انظر: فتح الباري ٤/٢٧٤-٢٧٥.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦٢٨،٩٦٢٤).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦٦٩)، وعبد الرزاق (٨٠١٦).

مسجد الكوفة الأكبر [1] .

ونقل عن سعيد بن المسيب أنه قال: لا اعتكاف إلا في مسجد النبي ﷺ. وفي رواية: إلا في مسجد نبي [2] .

ورأى بعض العلماء أنه لا يصح الاعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الجمعة والجماعة، روي ذلك عن علي بسند ضعيف[3]، كما روي عن عروة بن الزبير والزهري وغيرهم[4]

ويرى آخرون أنه لا بأس بالاعتكاف في أي مسجد، سواء كان مسجد جمعة، أو كان مسجد صلاة فقط، فروي عن أبي سلمة وعن الحسن البصري أنهما كانا يرخصان في الاعتكاف في مسجد القبائل التي تقام فيها الصلاة [5]. ونقل

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٨٠١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦٧٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٨٠٠٩)، وابن أبي شيبة (٩٦٧٠)، وفي سنده جابر الجعفي وهو ضعيف.

(٤) انظر مصنف عبد الرزاق، باب: لا جوار إلا في مسجد جماعة ٣٤٦/٤ - ٣٥٠ وابن أبي شيبة، باب: من قال لا اعتكاف إلا في مسجد يجمع فيه ٣٣٧/٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٨٠١١) .

ذلك عن أبي قلابة وسعيد بن جبير وهمام بن الحارث وإبراهيم النخعي وأبي الأحوص وعامر الشعبي[1]، بل قال الشعبي: لا بأس أن يعتكف الرجل في مسجد بيته [2].

والذي يظهر والله أعلم أنه لا بأس بالاعتكاف في أي مسجد، ولا دليل على التخصيص، وما قاله حذيفةﷺ لعله قصد به الأكمل من الأحوال؛ إذ لا ريب في أن هذه المساجد الثلاثة أفضل المساجد، وأن العبادة فيها مضاعفة الأجر، والله أعلم.

قال مالك: الأمر عندنا الذي لا اختلاف فيه أنه لا يكره الاعتكاف في كل مسجد يُجمع فيه، ولا أُراه كُره الاعتكاف في المساجد التي لا يجمع فيها إلا كراهيةَ أن يخرج المعتكف من مسجده الذي اعتكف فيه إلى الجمعة أو يدَعها، فإن كان مسجداً لا يجمع فيه الجمعة ولا يجب على صاحبه إتيان الجمعة في مسجد سواه فإني لا أرى بأسا بالاعتكاف فيه لأن الله

---

(١) انظر مصنف ابن أبي شيبة، باب: من اعتكف في مسجد قومه ومن فعله ٣٣٧/٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨٠٢٤).

تبارك وتعالى قال **﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾** فعمَّ الله المساجد كلها، و لم يخص شيئا منها.

قال مالك: فمن هنالك جاز له أن يعتكف في المساجد التي لا يجمع فيها الجمعة، إذا كان لا يجب عليه أن يخرج منه إلى المسجد الذي تُجَمَّع فيه الجمعة [١].

خروج المعتكف من معتكفه ودخوله بيته للحاجة:

لا بأس بأن يدخل المعتكف بيته أو غير بيته لقضاء حاجته الضرورية من بول أو غائط أو غسل ونحو ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: وإن كان رسول الله لَيُدْخِلُ عليَّ رأسَه وهو في المسجد فأُرَجِّلُه، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفا[٢].

ولا بأس أن يستعين بغيره لغسل رأسه أو تمشيطه ونحو ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ يُصْغي إليَّ رأسَه وهو مجاورٌ في المسجد، فأُرَجِّلُه (أي أمشط رأسه)

---

(١) **الموطأ** في كتاب: الاعتكاف، باب: ذكر الاعتكاف ١/٣١٣.

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: لا يدخل البيت إلا لحاجة (٢٠٢٩،٢٠٣١).

وأنا حائض [1] .

أما عيادة المريض وحضور الجنازة فاختلف فيها، فروي عن عائشة المنع، حيث قالت: كان النبي ﷺ يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يعرج يسأل عنه. وفي رواية قالت: إن كان النبي ﷺ يعود المريض وهو معتكف [2].

وعن عروة عنها أنها قالت: السنة على المعتكف أن لا يعود مريضا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع [3]. وبذلك قال عروة وعطاء والزهري وأبو سلمة بن عبد الرحمن [4] .

وقال سعيد بن جبير: يشهد الجمعة، ويعود المريض،

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: الحائض ترجل رأس المعتكف (٢٠٢٨).

(٢) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصوم، باب: المعتكف يعود المريض (٢٤٧٢).

(٣) أخرجه **أبو داود** في السابق (٢٤٧٣). وقال أبو داود: غير عبد الرحمن بن إسحاق لا يقول فيه: قالت: السنة. قال أبو داود: جعله قول عائشة.

(٤) انظر: مصنف **عبد الرزاق** ٤/ ٣٥٧ - ٣٥٩، ومصنف ابن أبي شيبة ٢/٣٣٥ .

ويحضر الجنازة، ويخرج إلى حاجة، ويجيب الإمام [1] .

وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ﷺ، والحسن البصري والشعبي وغيرهم [2].

وأرى والله أعلم أنه لا مانع من الخروج لنحو عيادة المريض وحضور الجنازة، إذا كان يخشى فوات مصلحة شرعية بعدم الخروج، ولئن جاز أن ينقلب مع أهله من معتكفه إلى بيته، فما المانع أن يخرج لمثل هذه الحاجات الشرعية ؟.

وكذلك لا بأس بالخروج لقضاء حاجة ضرورية لأحد من الناس أو يذهب لعمله إن كان لا يمكنه الاعتذار عنه .

وينبغي عندئذ أن **يشترط لنفسه عند الاعتكاف** أنه يخرج لحاجته أو لعمله ونحو ذلك، وقد روي عن علي وابن مسعود ﷺ أنهما قالا في المجاور: له نيته[3].

وقال قتادة: للمعتكف ما اشترط عند اعتكافه. وقال

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٩٦٣٤،٩٦٣٢، ٩٦٤٠)، وعبد الرزاق (٨٠٥٠).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٢/٣٣٤-٣٣٥ باب ما قالوا في المعتكف ما له إذا اعتكف مما يفعله.

(٣) أخرجها عبد الرزاق (٨٠٤٧،٨٠٤٦،٨٠٤٤).

إبراهيم النخعي: يشترط المعتكف الجمعة والجنازة والمريض وإن نَهَزَتْه (أي دفعته) حاجة. وقال عطاء: إن اشترط أن يعتكف بالنهار، وأن يأتي البيت بالليل فذلك له (١).

ورد مالك مسألة الاشتراط وقال: لم أسمع أحدا من أهل العلم يذكر في الاعتكاف شرطا، وإنما الاعتكاف عمل من الأعمال مثل الصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك من الأعمال، ما كان من ذلك فريضة أو نافلة، فمن دخل في شيء من ذلك فإنما يعمل بما مضى من السنة، وليس له أن يحدث في ما مضى عليه المسلمون، لا من شرط يشترطه ولا يبتدعه، وقد اعتكف رسول الله ﷺ، وعرف المسلمون سنة الاعتكاف (٢).

على كل حال فإنه ينبغي على المعتكف أن يحرص على عدم كثرة الخروج إلا للحاجة الضرورية، تحصيلا لمقصود الاعتكاف وروحه، والله أعلم. فقد روى مالك أن أبا بكر ابن عبد الرحمن اعتكف، فكان يذهب لحاجته (يعني البول

---

(١) السابق (٨٠٤٢٩).
(٢) الموطأ في كتاب: الاعتكاف، باب: ذكر الاعتكاف ١/٣١٤.

والغائط) تحت سقيفة في حجرة مغلقة في دار خالد بن الوليد (لعلها كانت متصلة بالمسجد)، ثم لا يرجع حتى يشهد العيد مع المسلمين.

وقال مالك: إنه رأى بعض أهل العلم إذا اعتكفوا العشر الأواخر من رمضان لا يرجعون إلى أهاليهم حتى يشهدوا الفطر مع الناس. قال: وبلغني ذلك عن أهل الفضل الذين مضوا، وهذا أحب ما سمعت إليَّ في ذلك [1] .

زيارة المرأة زوجها في المعتكف:

لا بأس بأن تزور المرأة زوجها في معتكفه، ولا بأس بأن يقوم معها ليقلبها إلى البيت، فعن علي بن الحسين﵄ أن صفية زوج النبيﷺ أخبرته أنها جاءت رسول اللهﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبيﷺ معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مرَّ رجلان من الأنصار فسلَّما على رسول اللهﷺ فقال لهما النبيﷺ: « **على**

---

(١) **موطأ مالك** في كتاب: الاعتكاف، باب: خروج المعتكف للعيد ١/٣١٥ .

رِسْلكما، **إنما هي صفية بنت حُيَيّ** » فقالا: سبحان الله يا رسول الله. وكَبُر عليهما، فقال النبيﷺ: « **إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا** » أو قال: **شرا** (١) .

اعتكاف النساء:

لا بأس باعتكاف المرأة إذا أذن لها زوجها بذلك، فقد أذن النبي ﷺ لعائشة واستأذنته عائشة لحفصة رضي الله عنهما، فلما رأى تتابع نسائه في الاعتكاف نقض اعتكافه واعتكافهن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباءً فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنتْ حفصةُ عائشةَ أن تضرب خباءً، فأذنَتْ لها فضربتْ خباءً (يعني أن عائشة استأذنت رسول الله ﷺ لحفصة أن تعتكف مثلها، فأذن لها) فلما رأته زينبُ بنتُ جحش ضربتْ خباءً آخرَ، فلما أصبح النبيﷺ رأى الأخبية

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد (٢٠٣٥) وانظر أرقام (٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١).

فقال: « **ما هذا ؟** » **فأُخبِر**، فقال النبي ﷺ: « **آلبِرَّ تُرَوْنَ بهن ؟** » فترك الاعتكاف ذلك الشهر، ثم اعتكف عشرا من شوال[1]. فإذنه ﷺ لهن دليل على مشروعية اعتكافهن، وقد كن يفعلنه .

قال القاضي عياض: قالﷺ هذا الكلام إنكاراً لفعلهن، وقد كان أذن لبعضهن في ذلك، وسبب إنكاره: أنه خاف أن يكنَّ غير مخلصات في الاعتكاف، بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه، أو لغيرته عليهن، فكره ملازمتهن المسجد مع أنه يجمع الناس وتحضره الأعراب والمنافقون، وهن محتاجات إلى الخروج والدخول لما يعرض لهن، فيبتذلن بذلك، أو لأنه رآهن عنده في المسجد وهو في معتكفه، فصار كأنه في مترله لحضوره مع أزواجه وذهب المهم من مقصود الاعتكاف، وهو التخلي عن

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: اعتكاف النساء (٢٠٣٣)، وباب: الأخبية في المسجد (٢٠٣٤)، وباب: الاعتكاف في شوال (٢٠٤١)، وباب: من أراد أن يعتكف ثم بدا له أن يخرج (٢٠٤٥)، **ومسلم** في كتاب: الاعتكاف، باب: متى يدخل من أراد الاعتكاف في معتكفه (٦/١١٧٣). وقوله (آلبر **تُرَوْن بهذا؟**): خطاب للحاضرين من الصحابة، معناه: أتظنون أنهن يحصلن البر بهذا الفعل ؟ .

الأزواج ومتعلقات الدنيا وشبه ذلك، أو لأنهن ضيقن المسجد بأبنيتهن. زاد الحافظ: أو لما أذن لعائشة وحفصة أولاً خشي توارد بقية النسوة على ذلك فيضيق المسجد على المصلين [١] .

وإن كانت المرأة مستحاضة فإن ذلك لا يمنع من اعتكافها إن شاءت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأةٌ من أزواجه مستحاضةٌ، فكانت ترى الحُمْرة والصُّفْرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي [٢].

وإذا حاضت المعتكفة رجعت إلى بيتها، فإذا طهرت عادت فأتمت اعتكافها. قال مالك في المرأة: إنها إذا اعتكفت ثم حاضت في اعتكافها: إنها ترجع إلى بيتها، فإذا طهرت رجعت إلى المسجد أية ساعة طهرت، ثم تبني على ما مضى من اعتكافها [٣] .

(١) شرح الزرقاني ٢/٢٨١.
(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الحيض، باب: الاعتكاف للمستحاضة (٣٠٩-٣١١)، وفي كتاب: الاعتكاف، باب: اعتكاف المستحاضة (٢٠٣٧).
(٣) **الموطأ** في كتاب: الاعتكاف، باب: قضاء الاعتكاف ١/٣١٧.

قضاء الاعتكاف:

إذا سافر الإنسان في رمضان فلم يتمكن من الاعتكاف أو بدت له حاجة جعلته يخرج من اعتكافه فله أن يقضي الاعتكاف بعد ذلك، سواء قضاه في رمضان التالي، أو في غيره.

فعن أبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فلم يعتكف عاماً، فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين ليلة [(١)] .

وفي رواية: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاما، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين يوما [(٢)].

متى يخرج من المعتكف:

يخرج المعتكف من معتكفه صبيحة يوم العيد، كما سبق ذكره عما رآه مالك من أهل العلم، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الوسط من

---

(١) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصيام، باب: الاعتكاف (٢٤٦٣).

(٢) أخرجه **ابن ماجه** في كتاب: الصيام، باب: ما جاء في الاعتكاف (١٧٧٠).

رمضان، فاعتكف عاما، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج فيها من **صبحها** من اعتكافه ... الحديث [1]. وسيأتي في الحديث عن ليلة القدر .

فقوله **صبحها** أو **صبيحتها** يدل على أن المعتكف يخرج من معتكفه صباح انتهاء الاعتكاف، ومعنى ذلك أنه يخرج صباح يوم العيد، والله أعلم.

---

(١) لفظ **مالك في الموطأ** في كتاب: الاعتكاف، باب: ما جاء في ليلة القدر ٣١٩/١ (٩)، **وابن حبان** ٤٣٠/٨ (٣٦٧٣).

الوقفة الثانية

فضيلة ليلة القدر

ليلة القدر أعظم ليالي السنة على الإطلاق، وفضيلتها معروفة مشهورة، أنزل الله في فضلها سورة تعرف بسورة القدر، قال الله تعالى﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تَنَزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر** ﴾

وقيامها سبب لمغفرة الذنوب وحط الخطايا، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » (١) .

ولذلك يجب على المسلم تحريها رجاء مصادفتها، فيصيب فيها الخير الكثير والأجر الكبير. وقد روى مالك أنه سمع من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: فضل ليلة القدر (٢٠١٤).

يثق به من أهل العلم يقول: إن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمارَ الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر، خير من ألف شهر [1] .

رؤية النبي ﷺ إياها ونسيانه لذلك :

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت أبا سعيد رضي الله عنه وكان لي صديقا، فقال: اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا وقال: « **إني أُريتُ ليلةَ القدر ثم أُنسيتُها – أو نَسيتُها – فالتمسوها في العَشر الأواخر في الوترِ، وإني رأيت أني أسجد في ماء وطين فمن كان اعتكف معي فليرجع** » (أي فليعد إلى اعتكاف العشر الليالي الباقية من الشهر) فرجعنا وما نرى في السماء قَزعة (أي قطعة من سحاب رقيقة) فجاءت سحابة فمَطَرَت حتى سال سقفُ المسجد، وكان من جريد النخل، وأقيمت الصلاةُ فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يسجد في الماء والطين

(١) **موطأ مالك** في كتاب: الاعتكاف، باب: ما جاء في ليلة القدر ٣٢١/١.

حتى رأيتُ أثرَ الطين في جبهتهﷺ [(١)].

يعني أن ذلك كان صبيحة ليلة إحدى وعشرين، كما جاء مصرحا به في بعض الروايات [(٢)] .

وروى عبد الله بن أنيس ﷺ معناه، وكان يقول: ليلة ثلاث وعشرين[(٣)].

وفي سبب نسيانه ﷺ تلك الليلة بعد أن رآها وعُيِّنت له ﷺ قال عبادة بن الصامتﷺ: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتَلاحَى (أي تخاصم وتنازع) رجلان من المسلمين، فقال ﷺ: « **خرجتُ لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان، فرُفِعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في**

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: التماس ليلة القدر في السبع الأواخر (٢٠١٦)، وباب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠١٨) وكتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف وخروج النبيﷺصبيحة عشرين (٢٠٣٦) وباب: من خرج من اعتكافه عند الصبح (٢٠٤٠)، **ومسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها (١١٦٧/٢١٣-٢١٦).

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاعتكاف في العشر الأواخر (٢٠٢٧)، **ومسلم** في السابق (١١٦٧/٢١٥،٢١٣) .

(٣) أخرجه **مسلم** في السابق (١١٦٨/٢١٨).

التاسعة والسابعة والخامسة »[1] .

وروي مثله عن أبي سعيد الخدري ﷺ،فقال له أبو نَضْرَة: يا أبا سعيد، إنكم أعلم بالعدد منا. قال: أجل، نحن أحق بذلك منكم: قال: ما التاسعة والسابعة والخامسة ؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرين فالتي تليها ثنتين وعشرين وهي التاسعة فإذا مضت ثلاث وعشرون فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة [2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **أُرِيتُ ليلةَ القدر، ثم أيقظني بعض أهلي فنُسِّيتُهَا، فالتمسوها في العشر الغوابر** » وقال حرملة: فنَسِيتُها [3] .

---

(١) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس (٢٠٢٣) .

(٢) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها (٢١٧/١١٦٧).

(٣) أخرجه **مسلم** في الموضع السابق (٢١٢/١١٦٦). **والغوابر**: البواقي، وغُبْر الشيء -بضم الغين-: بقيته.

الاجتهاد في العشر رجاء مصادفتها:

دعا النبي ﷺ إلى تحري هذه الليلة في الليالي العشر الأواخر من رمضان، كما في حديث الباب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**تَحَرَّوْا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**» (1) .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى** »(2).

وقد كان ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها من الأيام، فكان يترك أعماله، ويفارق أهله ويحيي ليله، ويوقظ أهله ليحيوا الليل بالعبادة والاجتهاد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل العشرُ شدَّ مِئْزَرَه (كناية عن اعتزاله نساءه) وأحيا ليلَه، وأيقظ أهله (3) .

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر (٢٠٢١-٢٠٢٢)

(3) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: العمل في العشر الأواخر من رمضان (٢٠٢٤)، **ومسلم** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاجتهاد في العشر- -الأواخر من شهر رمضان (٧/١١٧٤).

وقالت أيضا رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها [١].

وإنما شرع الاعتكاف في العشر الأواخر حتى يصادف الإنسان ليلة القدر في إحدى هذه الليالي العشر.

التماسها في العشر الأواخر والسبع الأواخر :

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجالا من أصحاب النبي ﷺ أُرُوا ليلةَ القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: « **أُرَى رؤياكم قد تواطأت (أي اتفقت) في السبع الأواخر، فمن كان متحرِّيها فَلْيَتَحَرَّها في السبع الأواخر** » [٢] .

وفي رواية قال: رأى رجلٌ أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، فقال النبي ﷺ: « **أُرَى رؤياكم في العشر الأواخر، فاطلبوها في الوتر منها** ».

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: الاعتكاف، باب: الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان (١١٧٥/٨) .

(٢) أخرجه **البخاري** في كتاب: فضل ليلة القدر، باب: التماس ليلة القدر في السبع الأواخر (٢٠١٥)، **ومسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها (١١٦٥/٢٠٥-٢٠٦) .

وفي رواية أنه ﷺ قال: « **إن ناسا منكم قد أُرُوا أنها في السبع الأُوَل، وأُرِي ناسٌ منكم أنها في السبع الغوابر** (يعني البواقي)، **فالتمسوها في العشر الغوابر** ».

وفي رواية أنه ﷺ قال: « **التمسوها في العشر الأواخر** – يعني ليلة القدر – **فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغْلَبَنَّ على السبع البواقي** ».

وفي رواية قال: « **من كان ملتمسها فليلتمسها في العشر الأواخر** »[1].

وفي هذا دعوة بليغة للاجتهاد المستمر في العشر الأواخر، بحيث يزداد الاجتهاد فيها ليلة بعد ليلة .

إحياء ليلة سبع وعشرين:

ذهب أكثر العلماء إلى أن ليلة القدر هي ليلة سبع وعشرين، وممن جزم بذلك أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه، فعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قال: سألت أُبَيَّ بنَ كعب رضي الله عنه فقلت: إن أخاك ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: من يقم الحولَ يُصِبْ ليلةَ القدر. فقال:

(١) انظر هذه الروايات جميعا في صحيح مسلم (١١٦٥/٢٠٧: ٢١١).

رحمه الله، أراد أن لا يتَّكلَ الناس، أمَا إنه قد علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأَواخر، وأنها ليلةُ سبع وعشرين. ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين، فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ؛ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها [1] .

وفي رواية أن أبياً ﷺ قال: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان - يحلف ما يستثني - ووالله إني لأعلم أي ليلة هي ؟ هي الليلة التي أمرنا بها رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين، وأمارتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها [2]. وعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **ليلة القدر ليلة سبع وعشرين** » [3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: تذاكرنا ليلةَ القدر عند رسول

---

(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصيام، باب: فضل ليلة القدر والحث على طلبها (٧٦٢/٢٢٠-٢٢١) .

(٢) أخرجه **مسلم** في كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (٧٦٢/١٧٩-١٨٠).

(٣) أخرجه **أبو داود** في كتاب: الصلاة، باب: من قال سبع وعشرون (١٣٨٦) بإسناد صحيح، وصححه **ابن حبان** (٣٦٨٠).

الله ﷺ فقال: « **أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنة ؟** »[1].

وشق الجَفْنة: أي نصف القصعة، قال القاضي عياض: فيه إشارة إلى أنها تكون في أواخر الشهر؛ لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر.

لهذا فلا بأس بما يفعله الناس من الاجتهاد الكبير في ليلة سبع وعشرين، فهي أرجى الليالي بأن تكون ليلة القدر إن شاء الله.

والقول بأن ليلة القدر قد تتغير من عام إلى آخر، فتكون في عام ليلة إحدى وعشرين، وفي آخر ليلة ثلاث وعشرين، وهكذا، قول غير بعيد، فإن في حديث أبي سعيد أنها كانت ليلة إحدى وعشرين، وفي حديث عبد الله بن أنيس أنها كانت ليلة ثلاث وعشرين، وفي حديث أبي هريرة أنها كانت في آخر الشهر، وقد رأيت أن أبي بن كعب يجزم بأنها ليلة سبع وعشرين، ويذكر أماراتها التي أشار إليها النبي ﷺ، فعلى هذا قد تكون الليلة المباركة في إحدى هذه الليالي الفردية، مختلفة

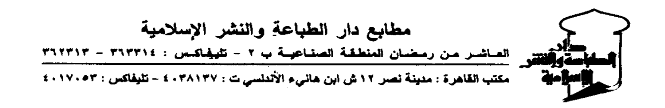
(١) أخرجه **مسلم** في كتاب: الصيام، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها (١١٧٠/٢٢٢).

من عام إلى عام، ومن ثم يجب الاجتهاد في العشر جميعا؛ رجاء مصادفتها، والله أعلم.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم بأسمائه وصفاته أن يجعلنا من الفائزين المقبولين في الشهر الكريم، وأن يجعلنا من الموفقين لقيام ليلة القدر، وأن يعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وعلمائنا وأهلينا وإخواننا والمسلمين من النار، إنه على كل شيء قدير.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهـــرس الموضـوعـــات



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣